3
2007
يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني

كتابة كاملة
الجزء الثاني

النشرة الأسبوعية
نوفمبر 2007

النص البشري في سوائه و إضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات نوفمبر 2007

المجلد 2، الجزء 3 – أسبوع 2 ، نوفمبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النـــص البشـــري فـــي سوائـــه و إضطـرابـــه

... قـــــراءة مـن منظـــور تطـــوري

بروفســـور يحيـــى الرخـــاوي

أسبوعيـــات نوفمبـــــــــر 2007

الفهـــــــــــرس

الخميـــس 2007-11-01:	
62- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة	379
الجمعـــة 2007-11-02:	
63- حـــوار/ بريـــد الجمعة	383
السبـــت 2007-11-03:	
64- مقتطف وموقف من كتاب:سلطان الأسطورة جوزيف كامبل	396
الأحـــد 2007-11-04:	
65- حالات وأحوال (عن الفصام..)	399
الإثنيـــن 2007-11-05:	
66- حالات وأحوال (عن الفصام..)	405
الثلاثـاء 2007-11-06:	
67- عن الفطرة والجسد وتَصْنيم الألفاظ	414
الإربعـاء 2007-11-07:	
68- مقتطفات بلا موقف...عن الموت والوجود	426
الخميـــس 2007-11-08:	
69- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة	430
الجمعـــة 2007-11-09:	
70- حـــوار/ بريـد الجمعة	435
السبـــت 2007-11-10:	
71- .. انتصار السعادة: برتراند رسل(!)	445
الأحـــد 2007-11-11:	
72- .. عن "المصداقية" وتشكيلاتها	449
الإثنيـــن 2007-11-12:	
73- ..عن "المصداقية" بالاتفاق	453
الثلاثـاء 2007-11-13:	
74- استطرادات طريفة وسخيفة !!	458
الإربعـاء 2007-11-14:	
75- عن ماهية الوجدان وتطوره! (1)	465

الخميـــس 2007-11-15:
76- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة) 469
الجمعـــة 2007-11-16:
77- حوار/ بريد الجمعة 473
السبـــت 2007-11-17:
78- عن ماهية الوجدان وتطوره! (2) 484
الأحـــد 2007-11-18:
79- عن ماهية الوجدان وتطوره! (3) 492
الإثنيـــن 2007-11-19:
80- مقتطف وموقف... عن الشعر والنثر 503
الثلاثاء 2007-11-20:
81- المخ البشرى بين التفكيك، والغسيل، وإعادة التشكيل (الإبداع) 511
الإربعاء 2007-11-21:
82- ... الموت والشعر 516
الخميـــس 2007-11-22:
83- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة) 521
الجمعـــة 2007-11-23:
84- حوار/ بريد الجمعة 525
السبـــت 2007-11-24:
85- ... عن الحب "للشباب" (وغيرهم غالبا!) 541
الأحـــد 2007-11-25:
86- ... عن الفصام (2) 550
الإثنيـــن 2007-11-26:
87- ... عن الفصام (3) 562
الثلاثاء 2007-11-27:
88- سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح) 574
الإربعاء 2007-11-28:
89- الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى 581
الخميـــس 2007-11-29:
90- أحلام فترة النقاهة 590
الجمعـــة 2007-11-30:
91- حوار/ بريد الجمعة 597

الخميـــــــس 08-11-2007

69- نجيـــب محفـــوظ: قـراءة فى أحـــلام فتـــرة النقاهـة

حُلْمَان: (5) ، (6)

أولاً: حلم (5)

نص الحلم

أسير على غير هدى وبلا هدف، ولكن صادفتنى مفاجأة لم تخطر لى فى خاطرى فصرت كلما وضعت قدمى فى شارع انقلب الشارع سيركا.

اختفت جدرانه وأبنيته وسياراته والمارة وحل محل ذلك قبة هائلة بمقاعدها المتدرجة، وحبالها الممدُودة، وأراجيحُها، وأقفاص حيواناتها، والممثلون والمبتكرون والرياضيون حتى البلياتشو، وشد ما دهشت وسررت وكدت أطير من الفرح، ولكن بالانتقال من شارع إلى شارع، وبتكرار المعجزة، مضى السرور يفتر، والضجر يزحف حتى ضقت بالمشى والرؤية وتاقت نفسى للرجوع إلى مسكنى.

ولكم فرحت حين لاح وجه الدنيا وآمنت بمجئ الفرح. وفتحت الباب فإذا بالبلياتشو يستقبلنى مقهقها.

القراءة

.. ومن ذا الذى يسير على هدى؟ وبهدف محدد مسبقا؟ هذه كلها (الهدى، والهدف..الخ) أوهام نرسمها فى خطوط عامة، لعل وعسى أن نصدقها،

حين كتبتُ **عن الفطرة** قلت إنها تتجلى **واقعاً حركيا تشكيليا فى الحلم**، أكثر بكثير مما تتجلى فى **"واقع اليقظة"**، فى هذا الحلم يتبين لنا كيف أن **الواقع الإبداعى** يبلغنا هنا كم يصعب التمادى فى الوهم، فالحلم يعلن مباشرة أننا نسير على غير هدى، وبلا هدف.

يبدو أن السير على غير هدى فى الحلم هو القاعدة من حيث أنه الفطرة التى يحكمها **"قانونها إليها"** أكثر مما **"يتحكم فيها هدف معلن من خارجها"**. فما بالك فى الحلم الإبداع؟

المصادفة هى الأصل، ربما!!

يبدأ الحلم بـ: **"صادفتنى مفاجأة"** لم تخطر لى فى خاطرى، طبعا، وإلا فكيف تكون مفاجأة؟

المفاجأة هنا ليست فقط فى أن الراوى اكتشف أن الشوارع – المدينة – العالم – الحياة، ليست إلا سركا، ولكن فى أن الشوارع كانت شوارعاً بما هى كذلك، لكنها **تنقلب سركا بمجرد أن يضع قدمه فيها.**

فالحياة إذن ليست مسرحا كبيرا، ولا هى سيركا عجائبيا فى ذاتها بذاتها، ولكننا نحن الذين نجعل منها ما هو كذلك، ونحن لا ننصب السيرك فى الشوارع، ولكننا ننصبه بديلا عنها، عن الشوارع وما بها، عن الواقع، لأن بقية الحلم تقول إن السيرك **يحل محل الأبنية بجدرانها، بل ومحل السيارات والمارة،.....**

هى المفاجأة، وهى تظل مفاجأة ماظلت مُدْهِشة مع أننا نحن الذين نصنعها بمجرد أن نضع أقدامنا فيها، لكن – مثل أى مفاجأة- إذا ما تكررت تتراجع الدهشة، فتفتُرُ الفرحة، ويظهر الضجر، وهو ما دعا الراوى للرجوع إلى مسكنه، لكنه عند عودته منسحبا لم يجد البيت قد تحول سركا مثل الشوارع، لكنه وجد فى استقباله البلياتشو (ممثل السيرك)، الذى بدا وكأنه يعلنه أن ما أدهشه فى الخارج هو نابعٌ من ذاته أصلا، وبالتالى لماذا الدهشة فالضجر؟ بل إن البلياتشو بدا مرحبا بعودة صاحبه: فإذا بالبلياتشو **"يستقبلنى مقهقهاً"** (وإن كنت لا أنفى احتمال مسحة من السخرية أو العتاب)

هل هذا يعنى أننا إذا أردنا أن نلعب **"لعبة الحياة: بإعادة تخليقها"** فعلينا أن نحرص على التجديد وليس مجرد إعادة الألعاب؟ وأنه لا يكون التجديد أصيلا إلا بالبدء بأن نقبل هذا البلياتشو داخلنا فهو الأصل، بدلا من أن ننتظر أو نفتعل التغيير خارجنا؟

إن المُجَدِّد فى لعبة الحياة هو القادر على المشاركة بما هو – بلياتشو مقهقها من الداخل- فى السيرك الكبير الجميل فى الخارج، شريطة ألا يتكرر حتى نملّ؟

ربما.

حين يسير الواحد منا فى الحياة يخلّق الألعاب، ويندهش للتحولات، ثم تتكرر المسألة حتى تفتر، فإنه قد يتعب من المشى، ويمل الرؤية، محفوظ هنا فى حلمه يقرر ذلك، إنه **"يضيق بالمشى والرؤية"** معا، فهو **لم يتعب ولم يمل**، لكنه **ضاق بهما:**

المشى وصلنى باعتباره **مواصلة السعى فى الحياة**، أما **الرؤية** فقد وصلتنى فى صورة **تجدد الكشف**،

لكن الحلم هنا يقول **إن تكرار النص** – كما هو- تكرار ألعاب السرك، **يُفْقِدُ المشى صفة السعى، ويفقد الرؤية صفة الكشف**، فمن ذا لا يضيق بما يتكرر هكذا؟

الرجوع إلى المسكن يمكن أن يقابل التراجع عن السعى، وهو **نكوص** من حيث المبدأ

لكن النكوص لايكون سلْباً إلا إذا كان نهاية المطاف، أما إن كان **"حركة الذراع الراجعة"**، فهو بداية الدورة

التالية، ولو فى دورات النوم واليقظة، شريطة أن نبدأ بالبلياتشو داخلنا،

هكذا وصلتنى فرحة الراوى وكيف سبقت ظهور البلياتشو، وهى فرحة تولّد فرحة **"فَرِحْتُ .. وآمنت بمجئ الفرح"**، ثم يظهر البلياتشو مستقبلا مقهقها تأكيداً لرسالة أن **"وجه الدنيا يشرق من داخلنا،** وهو الذى يخلق الشارع فالشارع سيركا فسيركا، شريطة ألا يحل الخارج محل الداخل، وألا يتكرر بما هو، دون الرجوع إلى الداخل، **لتشرق الدنيا ويقهقه البلياتشو من جديد، وهكذا دائما أبداً.**

*****

ثانياً: حلم (6)
نص الحلم (6)
رن جرس التليفون وقال المتكلم:
الشيخ مجرم استاذك يتكلم
فقلت بأدب وإجلال:
أهلا استاذى وسهلا...
- إنى قادم لزيارتك.
على الرحب والسعة

لم تمسنى أية دهشة، على الرغم من أننى شاركت فى تشييع جنازته منذ حوالى ستين عاما، وتتابعت علىّ ذكريات لاتنسى عن أستاذى القديم فى اللغة فى معاملة التلاميذ، وجاء الشيخ مجبته وقفطانه الزاهيين وعمته المقلوظة وقال دون مقدمات: هناك عايشت العديد من الرواة والعلماء، ومِنْ حوارى معهم عرفت أن بعض الدروس التى كنت ألقيها عليكم تحتاج إلى تصحيحات فدونت التصحيحات فى الورقة وجئتك بها.

قال ذلك ثم وضع لفافة من الورق على الخوان وذهب.

القراءة

... تابعت نجيب محفوظ وهو قادر على أن يرفع الحاجز بين الموت والحياة بسهولة ويسر فى أكثر من موقف شخصى، وأكثر من موقع إبداعى مثلاً فى **"ليالى ألف ليلة"، "ورأيت فيما يرى النائم"**، وحتى **"ملحمة الحرافيش"**، وغيرها.

وباعتبار أن الفرض الذى لاح لى مؤخّرا وأعايشه حاليا لإكماله يقول: **إن الموت هو نقلة الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى ليكمل المسيرة إلى وجه الحق سبحانه وتعالى،** فإن هذه النقلة تصبح سَلسِةً بقدر ما يكون الإنسان قد سعى فى نفس الاتجاه: من الذات إلى المطلق إلى وجه الله، أثناء حياته، وعباداته، ونسكه، وإبداعه، من هنا يمكن رفع الحاجز بين الموت والحياة بقدر جدية وكدح مشوار الإنسان فى الاتجاه الصحيح.

لكل ذلك لم أتعجب من قدرة محفوظ على رفع هذا الحاجز والتنقل بين الموت والحياة بسهولة فى كل أحواله، فما بالك فى إبداعه إحلامه؟

من هنا نفهم انعدام الدهشة فى هذا الحلم والراوى يرى/ يسمع صوت أستاذه فى الهاتف وهو يستأذن للقدوم لزيارته، بعد أن شيع جنازته من حوالى ستين عاما.

الزمن هنا أيضا اخْتُزِلَ بنعومة حتى يمكن أن نقرأ هذه الستين وحدة بأى تمييز (عاما، شهراً، أسبوعا، أو كما شئت)، هو أستاذ، وأستاذ فى اللغة وليس بالضرورة اللغة العربية، وليس معنى أن يكون الأستاذ "محرم" فى الحلم قد جاء بجبته وقفطانه الزاهين أنه أستاذ العربى والدين، وإن كان هذا هو الأرجح.

أما ما قاله الأستاذ محرم، فلم أجد فيه جديداً: فهو دعوة مباشرة (وساذجة) لمراجعة كل الدروس التى تُلْقَى علينا وبالذات الدروس سابقة التجهيز،

الجديد فى الحلم ربما هو فى التنبيه على أننا: **إذا كنا أجبن من أن نختبر المعلومات -كل المعلومات- التى تصلنا بالمراجعة ونحن أحياء، فهذا إثم سوف يحاسبنا الله عليه**، وها هو شاهد على نفسه، يأتى إلينا وهو يراجع نفسه بعد أن انتقل وعيه إلى الوعى الكونى إلى وجه الحق سبحانه وتعالى، وهو على نفسه بصيرة، لم تنفعه معاذيره، فاكتفى بنفسه عليه حسيبا، فيقرر أن يعترف ويرجع ليصحح ما كان ينبغى أن يكتشفه حيا، فهو -برحمةِ ربنا- أعطى الفرصة أن يعود، وذلك حين اكتشف أنه من الأمانة أن يصحح دروسه القديمة، وأن يبلّغ هذا التصحيح الواجب لمن اتبعوه ثقة فيه، بل إنه ربما فعل ذلك بدلا من أن يتبرأ من الذين اتبعوه دون أن يُعمِلُوا النقد فيما قاله لأنه يعلم أنْ ليس لهم كرّة ليتبرأوا منه لو أنه تبرأ منهم، فعاد يبرئ ذمته، وربما استشعر أنه بتراجعه هذا سوف ينال غفران ربنا أكثر فأكثر مادام قد صحح غلطته، وعاد بالتعديلات الواجبة، يبلغها للذين اتَّبَعوا

(ملاحظة: لم أتوقف كثيرا عند اسم "محرم" لأربطه بالحلال والحرام، فمحفوظ قد تجاوز مثل ذلك).

بقيت بعد ذلك مسألتان.

أولاً: إننى خشيت أن يتوقف "المتلقى" عند الورقة التى تركها الشيخ على الخوان وفيها ما فيها من التعديلات اللازمة ويتصور أن غاية المراد هو: **مجرد تصحيح القديم عن طريق نفس الأستاذ بعد أن عايش العديد من الرواة، والعلماء وحاورهم**، وأن الأستاذ هو الذى عليه أن يقوم بتصحيح ما وصلنا باستمرار.

ثانياً: خشيت أيضا أن يغفل المتلقى كلمة **"بعض"** التى حرص محفوظ (برغم صعوباته) ألا ينساها (عرفت أن **بعض** الدروس ... تحتاج إلى تصحيحات).....

غامرتُ -شخصيا- أن أكمل الحلم من عندى هكذا،
"...فقمت وفتحت اللفافة، وإذا بها أوراق مرقّمة بيضاء من غير سوء".

وتصورت أن الحلم بهذه النهاية المقترحة يدعونا أن نتحمل مسئوليتنا فنقوم نحن باستمرار بتصحيح ما يصلنا أولا بأول، ولا ننتظر الشيخ محرم مهما حسنت نيته واعترف بخطئه

هذا ليس مأخذا على الحلم، إن لمحفوظ أن يقف حيث أراد

هذا،

وقد أبلغنى شيخى محفوظ أمس هاتفيا أنه بعد أن ناقش الأمر مع الشيخ محرم، وافقا على السماح لى بما فعلتُ على مسئوليتى.

الجمعـــــــة 09-11-2007

70- حـــــــــوار / بريـــــــــد الجمعـــــــــــة

مقدمة

برغم ما وصلنى من تحفظات على مستوى الحوار هكذا، إلا أن أغلب الآراء كانت فى اتجاه الإبقاء عليه، وقد كان رأيى مع أغلب الآراء، أملا فى تواصل أوسع، وشبكية أثرى اختلافا. أغلب الآراء أيضا رفضت تخصيص يوم بذاته من أيام الأسبوع لموضوع بذاته، وقد تراجعنا لذلك عن ذلك، (فيما عدا الخميس – محفوظ- والجمعة -الحوار).
ثم نبدأ اليوم بالصديق الابن د.كريم محمد شوقى

د. كريم محمد شوقى (سلطان الأسطورة) 3-11-2007
تعتعة!! دا بقا زلزال بقوة عشرة ريختر... والجهل نعمة، وفيه كرامه زيه زى الجنون، وحضرتك مصمم تفوقنا من الجهل والكسل اللذيذ والعته البليد. استخدام الاسطورة للربط بين التداوى الشعبى والتداوى بالأدوية الحديثة وصّل لى معلومات جديدة قد تساعدنى على مساعدة مريض أتحمل أنا مسئوليته الآن؟.

د. يحيى
يارب سهّل
شكراً، يا كريم، بصراحة أنا أعتبر قيمة الكتابة بقدر ما تسمح بمثل هذا التغيير فى الموقف أو فى السلوك خصوصا حين يصل النفع إلى مريض يحتاجه مثلما تقول. ولعلك تعرف موقفى من التطور بصفة عامة. وأن اسم الجمعية التى تصدر عنها هذه النشرة، وهى ما تبقى من مجلة الإنسان والتطور، هو جمعية الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى!!، (هل وصلتك دلالة إضافة **"العمل الجماعى"** إلى اسم الجمعية؟) أنا لست أدرى كيف رحّب الناس بهذه المجلة طوال عشرين سنة دون التطرق بشكل مباشر إلى قضية التطور بما ينبغى كما ينبغى، مع أننى لم أكف عن الإشارة إليها سواء بالنسبة لموقفى الشخصى من الوجود والموت والله سبحانه وتعالى، أو لموقفى العلمى والمهنى من المرض النفسى، وخصوصاً "الفصام".

د. كريم محمد شوقى
يبدوا أن الواحد لازم يقفل علي نفسه ويقعد يقرأ عشر

سنين متواصلة عشان يعرف يجاريك أستاذى الفاضل

د. يحيى
ليس هكذا تماما، (مش قوى كده)! أنا لو قرأت مليون صفحة لايمكن أن أصل إلى ماوصلت إليه من خلال قراءة النص البشرى لمريض واحد، متجادلا مع نصّى البشرى الذاتى، كنت دائما أنصح طلبتى تحت التدريب أقول لهم إن رحلة سنوات مع مريض فصامى واحد سوف تعلمك كل الأمراض، وربما كل البشر وكل الحياة.

د. كريم محمد شوقى
فرضك بشأن مرض عصام مثير للجدل وصعب الهضم نوعا ما، رغم بساطته, أعتقد أن حضرتك علمتنا أن الفطرة و ما شابهها...، أن أى تناول لها بالكلام يشوهها ويفسد معناها وبالتالي كان الله في عونك وأنت تكتب هذا الفرض (أعتقد أنك ترددت كثيرا قبل أن تتناول الفطرة بالكتابة).

د. يحيى
فعلاً ترددت لكننى غالبت ترددى حين ألحت علىّ هذه الورطة بالالتزام اليومى التى بدأت أعتقد أنها قادرة أن تزيل بعض هذا التردد، وخاصة وأن جرعة الطب النفسى (قراءة النص البشرى) تتزايد باستمرار، وهى تثير من الفروض الجديدة، ما يستحق النظر وإعادة النظر.

د. كريم محمد شوقى
حضرتك علمتنا أنه مفيش فرض صح وأخر خطأ، ولكن هناك فرض مفيد... أتمنى أن يكون هذا الفرض الصعب السهل قد أفاد عصام وكانت النتيجة هي إتجاه السهم للمسار الصحيح

د. يحيى
بصراحة لا أخفى عليك أن عصام هو صديق حالى، وأن استجابته الإيجابية لاتبدو فى الأفق، وأنها ليست شرطا لصحة الفرض، وذلك أن عوامل كثيرة تحدد ذلك كما تعلم، ربما لهذا جاء تحفظى فى النهاية أنه إن لم يستطع عصام أن يستفيد منها، فلننفعلها نحن.

د. كريم محمد شوقى
بس فيه شئ مش فاهمه...ناس كتير بيعيشوا حياة زى حياة عصام، بيحصل تباعد بين القشرة والفطرة...يا ترى ليه مش بيتفسخوا هذا التفسخ الرهيب

د. يحيى
عندك حق، بجد عندك حق، وأرجو أن أستطيع الإجابة عليك من خلال الاستمرار مع عشرات الحالات ومع أنفسنا ومع عطاء المعرفة من كل مصدر آنىّ وسابق، وفى هذه النشرة إن شاء الله وطال العمر مع أننى أرى أن اللغة تزداد صعوبة على من يسميهم الابن يوسف عزب الشخص العادى، لكن أرجو أن تصل إلى تعقيدات ابن أخى الذى تتعاطف أنت معه يا كريم هلا سمعته

د. محمد أحمد الرخاوى (أحوال وحالات) 5-11-2007

فى تعاملى اليومى مع عامة الناس يشق علىّ جدا التعامل مع كتل الجمود فى المحلك سر، ولذلك أوافق تماما على أن الفطرة **هى الحركة المركزية الغائية إليها – الفطرة – وإلى المطلق.**

د. يحيى

يا محمد، يا محمد، شكرا لاقتطافك أهم ما جاء فى حديثى عن الفطرة، وشكرا لمشاركتك، أنا حين كتبت أن الفطرة هى حركة وليست "مفهوما" كنت مترددا خشية أن أُفهم خطأ أو ألاّ أفهم أصلا، أما حين كتبت أنها **"هى الحركة إليها"**، فقد فزعت أكثر، وأنا مازلت حتى الآن لا أفهم جيدا ما كتبته أنا شخصيا، وأشعر أننى سأعود إليه كثيرا، فإذا كان قد وصلك ما خطر لى بالرغم من ذلك، وبهذا الوضوح، حتى أضفت إليها "المركزية الغائية" كما أضفت توجهاً محددا: **"إلى المطلق"**، فهذا شئ يفرحنى ولا يطمئننى، يفرحنى أنك تحاول، ولا يطمئننى لأن المسائل شديدة الصعوبة، وينبغى أن نحذر الإسراع هكذا بالفهم أو بالشرح.

د. محمد أحمد الرخاوى

أضيف أن خطر الانقراض يأتى **حالا من الحركة العكسية – أى ضد الفطرة – فى صورة تَعَمْلُق هذا التوقف المميت؟**

د. يحيى

ليكن يا محمد، ليكن، لعلك تتبعت ما نشرتُه لاحقا عن توضيح ما عنيتُه بالفطرة ردا على ما وصلنى من هجوم، وفى نفس الوقت من سوء فهم لاستعمالى كلمة الفطرة، حتى أننى تعهدت أن أواصل العودة إلى شرحها وبدأت بالحديث عن **الفطرة والجسد يومية 6-11** ، كما أننى مازلت لا أجد لكلمة الفطرة ترجمة إلى الانجليزية، وأرفض رفضا قاطعاً أن تكون الترجمة Instinct، ثم تأتى أنت لتعقد الأمور أكثر، ماذا تعنى بقولك **"تعملق هذا التوقف المميت"؟**

د. محمد أحمد الرخاوى

... أعنى انسلاخ الغائية بتفاعلاتها الجدلية الآنيّة الحيوية؟

د. يحيى

الله يسامحك، برغم أننى لا أنكر جديتك واجتهادك! هل تعرف أن من أهم ما ساعدنى أن اتجنب مثل هذه العبارات هو ما قرأته يوما من "إن الحديث عن الجدل هو ضد الجدل"، ومع ذلك فليس عندنا بديل على ما يبدو، أما عن إضافتك كلمتىْ "الآنية **الحيوية"** فقد وصلنى أنك أصبت بعض الهدف لو كنتَ حقا تشير بـ "الآنية" إلى روعة الالتزام بمبدأ "هنا والآن"، أما استعمالك لكلمة "الحيوية" فقد طمأننى إلى أن ثَمَّ من يشاركنى علاقتى **"بالبيولوجيا الحقيقية"**، التى اختزلوها إلى كيمياء وتشريح فى معظم الطب النفسى الأحدث، لست أفهم كيف يتجنب هذا الطب الذى يتعامل مع كل هذا اللحم الحى وحركية الوجود والموت، كيف يتجنب مواجهة هذه المسائل عن الموت والوجود التى يعريها المرضى ليل نهار.

د. محمد أحمد الرخاوى

الأصل هو الموت والحياة احتمال يفشل فيه الكثير. الحياة هى اليقين بالموت واعبد ربك حتى يأتيك اليقين !!!!!! قال نجيب محفوظ "الموت لا يجهز على الحياة وإلا أجهز على نفسه "لولا الموت لما كانت هناك حياة ولولا الحياة لما كان هناك موت، دورات متلاحقة من محاولة التشبث بأمّ الحقائق وروعة الوجود وهو الموت، لكي يتم الابداع كله!!!!

د. يحيى

أذكر أن هذه التوجهات كانت أطروحتى بعنوان **(دورات الحياة وضلال الخلود "ملحمة الموت والتخلق فى الخرافيش")**، ويمكن أن ترجع إليها من جديد إن شئت فهى فى الموقع .

والآن أدعوك معى إلى الصديق يوسف عزب الذى أرسل تعليقاته بأثر رجعى مثل الأسبوع الماضى، وأنا مضطر إلى تجاوز أغلبها إما لأن مواضيعها أصبحت بعيدة تاريخاً. وإما لأن التعليقات غامضة وقصيرة، وقد لا تسمح بالمشاركة مع أغلب الأصدقاء.

أ. يوسف عزب (بعض وصف بعض مصر(1) & من ملف القيم والأخلاق 10-16

تعليقى الرابع: هو (يوسف يعنى الكاتب، أنا) مش عارف الناس الغلابة عايشة إزاى (؟).

وتعليقى الخامس: إزاى يقول كده..؟ هو مش عارف الناس سقفها قد أيه؟

د. يحيى

أهلا يوسف... اسمع يا عمنا، أنا أقول ما عندى، ورزقى على الله، أنا لو عملت حساب الناس الغلابة الذين تعنيهم فلن أفتح فمى، أو أنطق حرفا، أحسب أنك تعنى أولئك الذين يستعملون دفاعات ثقيلة وجاهزة تمنعهم من إعادة النظر، أنا يا يوسف لو عملت حساب سقف الناس الذى تشير إليه، والذى يبدو أنك تراه منخفضا جدا، فلن أفعل شيئا هكذا هنا، ولا فى أى مكان آخر.

حين أرجع إلى مجلتنا (الورقية) "الإنسان والتطور" التى مازال الكثيرون يذكرونها بالخير، أجد فيها ما هو أصعب شكلا، وأخطر شطحاً، ومع ذلك فقد بقى منها عند من أعرف ومن لا أعرف ما يطمئننى أن اثق "فى الناس" – **"عامة الناس"**، وألا اضع لهم سقفاً من عندى يمنعنى شخصيا أن أواصل سعيى إليهم.

يكفينى يا يوسف ما وصل للابن د. رفيق حاتم وهو حيث هو، وقد ربط بين ممارسته الطبية فى بلاد الفرنجة، وبين ما تطرقنا إليه هنا عن مفهوم الغيب، صحيح أن رفيق سقفه عالٍ، وهو متخصص، ولا يمثل عامة الناس، لكن إيش عرفنى أين يقع سقف الباقين.

أ. يوسف عزب حوار الجمعة 19-10

الحديث بتاع الدكتور رفيق مذهل وعظيم الفائدة (الله ينور يا د/ رفيق) خاصة حديثة عن الغيب،

(ثم دعنى) أستاذنكم فيما ورد بذهنى عن الإيمان بالغيب: فقد أصبح لدىّ اعتقاد أساسى بأن العبادات شُرِعَتْ لصالح كفاءة وعمق واتزان حياة البشر للحفاظ على طريق ما .. طريق غير معلوم.

إن الله باكتماله لايحتاج عبادات من البشر، وفى هذا الإطار أخيرا، رأيت **أن الإيمان بالغيب هو ترجمة مباشرة لمفهوم "أن يضع الإنسان فى ذهنه أن هناك احتمال أخر لايعرفه"**

د. يحيى

أنا لا أميل يا يوسف إلى البحث فيما شُرِعَت له العبادات، لأن هذا ليس من اهتماماتى ولا من مهمتى، العبادات شرعت لأنها عبادات، وقد رفضتُ طول عمرى – مثلا- تعداد فوائد الصيام التى يبالغ فى سردها الأطباء كل رمضان، حتى تبدو لى أنها رشوة خائبة للمؤلفة قلوبهم تبرر مشروعية الصيام، وكأن الصيام شرع لهم ليحققوا رجيما ربانيا، أو ليعالجون به ضغط الدم، أوالسكرى، أنت لم تقل ذلك، لكن الشئ بالشئ يذكر. العبادات يا يوسف تؤدى عندى وظيفة ضرورية، وهى **"معنى الالتزام الغامض بالإيقاع الحيوى المتجدد"**، سواء هى شُرِعَتْ لذلك أم لا، ثم إنها تشحذ **وسائل التواصل الأخرى مع العوالم الآخرى، مع المجهول، مع الغيب، مع المفتوح النهاية، التواصل بالجسد خاصة، كما أنها تحضر فى الوعى بالممارسة لا بالكلام تحضر "المجهول/المعلوم/المجهول"، تحضره بانتظام راتب، بالنسبة لى**، أنا أستطيع أن أجزم أن محوراً ما يتكون حوله وجودى الخاص من خلال تكرارها، كل هذا دون الدخول فى التفاصيل عمداً، **وعدم الدخول فى التفاصيل هو أيضاً جانب من الإيمان بالغيب.**

أنا لست مع الذين يناقشون العبادات بالألفاظ، أو بالشرح، أو بالتفسير أو بمبدأ الفائدة العاجلة، ولا أعرف بديلا عن العبادات يحقق لنا هذه العلاقة المنتظمة مع الكون إلى مَنْ وسع كرسيه السماوات والأرض سبحانه وتعالى، لا أعرف كيف، ولا أريد أن أعرف جدا، ولا أستطيع ...

آسف يا يوسف، يبدو أننى أحدّث نفسى، فلتسمح لى أن أعرج إلى رسالة من صديقة جديدة تبدو أنها حسنة الظن بنا جدا .. إلخ.

أ. سندس محمد (من رسالة خاصة طويلة جدا، ليست تعليقا على موضوع بذاته)

(أنا) ... بافهم الناس، وباعرف ما فى نفسيتهم وعمقهم، أحيانا باحس بيهم، وباعرف بيفكروا فى إيه وده شئ طبيعى؟

د. يحيى

يا سيدتى، شكرا لرسالتك التى بلغت عدة صفحات، وعذرا للاكتفاء بالرد بهذه السطور التى تفيدك أن رسالتك الأولى

قد وصلت، نحن نقدر تقديرك لما تحاوله، هو تشجيع رائع، ثم أعود إلى تحذيرك من الاطمئنان الشديد لمثل هذا الحدْس (**بافهم الناس..**إلخ)، فهذا أمر يعتقده كثير منا، وعلينا أن نعتبره مجرد "فرض" محتمل صحته، وذلك حتى لا تترتب عليه مشاكل أكبر من حسن نيتنا، وأنا أرى أن المبالغة في تقدير احتمال صدق مثل هذا الفرض قد يفسد العلاقات بين الناس، عكس ما ذكرت في رسالتك.

أ. سندس محمد

... أرجوا المساعدة، فكرت في مرحلة إني لازم اتكلم مع حد فاهم، حد يساعد، لأن الاكتئاب القومي ده بقى صعب، هيا دى الحياة؟ كده حراااااااام.

د. يحيى

يا شيخة حرام عليك أنت هذه المبالغة، ثم إني لا أحب هذا التعبير "**الاكتئاب القومي**"، هذا التعبير الذى شاع مثلما شاعت تصريحات شبه علمية حول تواتر نسب الأمراض في مصر!! بطريقة غير مفيدة مثل أن 20 % من الشباب عندهم اكتئاب!! لنفرض أن هذا صحيح "**ثم ماذا**"؟

أما حكاية "**لازم اتكلم مع حد فاهم**" فهى مهمة فعلاً، لكن ليس بالضرورة أن يكون هذا الحدّ طبيب نفسى، وبصراحة ليس ضروريا طول الوقت أن نصدق أن "الفضفضة" هى الحل، أحيانا تكون بمثابة تفريغ صندوق به قمامة جفت وتآكلت، ويكون الكلام عنها نوعاً من إحياء عفونتها، بلا داع، كل هذه الإشاعات التى تدعونا أن "**نطلّع إللى جّوانا**" علينا أن نراجعها، وفى نفس الوقت علينا أن نتمسك بحقنا في "البوْح"! لكن لمن يرانا من أهل الثقة"، وليس باستمرار، ثم أين هم؟ دعينا نقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفضفض لربنا أكثر من الناس "**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس**" ... إلخ شريطة أن نتذكر أنه سبحانه قريب قريب، لا يحتاج إلى تأشيرة من أى سفارة لمخاطبته أو سؤاله دعاءً ورحمة، وأن هذا لا يغنى عن البوح للناس.. لكن...

أ. سندس محمد

...يارب الناس تفهم بعض بقى وتحس ببعض، وتقدر تعين بعض، وأقدر أبقى أقوى وأكون أفضل، الحياة حلوه (لكن) بعض البشر بيجعلوها مش كده، بيفهموها غلط، ومش بيدركوا ولا بيقدروا، والغريب إنهم عايشين، وفاكرين إنهم صح ؟

د. يحيى

... وأنت أيضا تظنين أنك "الصح"، وأنا ايضا أظن أنني الصح، كل واحد في نفسه مَلِكٌ، لابد أن نتحمل بعضنا البعض مختلفين، ونحن نتمنى أن نعين بعضنا البعض، وأن نفهم بعضنا البعض كما تقولين، شكرا يا سيدتى وتعالى معنا نرى ماذا يقول الصديق النشط المثابر الظريف، الابن رامى عادل.

أ. رامى عادل (فصام عصام) 5-11-2007
الفطرة هيه أنك تبقى على طبيعتك، ... أقصد إنك تعيش حياتك على قد ما تقدر، وتلوّن الأيام....

د. يحيى
حلوة "تلوّن الأيام"، هذه يارامى (إحذر عملية خلط الألوان يارامى مع أنها ضرورة رائعة) لكننى توقفت كثيرا عند قولك **"تبقى على طبيعتك"**، وهل أنت أو أنا، أو أى واحد يعرف طبيعته، حتى يمكنه أن "يبقى على طبيعته"؟ مازلت أكرر ما كان يتقرب به بعض الصوفية وهو يذكر الله قائلا **"ربى كما خلقتنى .. ربى كما خلقتنى"** لأنه لا يعرف طبيعته، ويدعو الله أن يعينه أن يكون كما خلقه دون تحديد، بحيث يستجيب ربنا لدعوته، والله سبحانه أدرى كيف خَلَقَهُ، خَلَقَنَا.

أ. رامى عادل (الفطرة والجسد) 6- 11-2007
عينى فى عينك وواخدين وضع جسدى بنتشكّل، وساعات أيوه ساعات.. بنقابل ربنا، إحنا بين ايدينا، بنتشكل، ومن جوانا، وبنتمرد على كل وضع، وبنتحرر وبنتغير، وساعات بنطير، ومعانا ربنا جوانا، تمام زى العصافير، ونحب، ونغنى، نمسك مزامير نلبس طراطير.

د. يحيى
أوافقك يا رامى وأنت تعقّب بكل هذا الشطح الجميل على مقال الفطرة والجسد، أوافقك لأن الكلام المنظم أحرجنى وأتعبنى ولم أعرف كيف أرد، أوافقك حتى أننى أتوقف عن الرد عليك بالألفاظ..، من أهم ما استفدته منك يارامى أن مزاجك يتقلب بنشاط طازج حسب اليومية، فالذى يسمعك تغنى هكذا، لا يصدق أنك توقفت بهذا الصمت الجميل عند نهاية يومية **"الموت والوجود"** واكتفيت بتكرار جملة واحدة وردت فى آخرها.

أ. رامى عادل (الموت والوجود أو الموت والجسد) 7-11-2007
"... أننا نحمل الموت إلى تاريخنا الشخصى وذلك بنقل معنى حياتنا للآخرين"؟

د. يحيى
مجرد اقتطافك هذه النهاية أثلجتنى، وأعتقد أن عودتنا إلى هذا الموضوع الصعب كما طلبت د.سناء قد يفتح لنا آفاقا جديدة وصعبة للحوار فيما بعد، ربنا يستر.

د. سناء (عن الموت والوجود) 7-11-2007
We need such books, **(كتاب "الموت والوجود")** in my opinion, because we learn from them even a little..... Not grasping the whole is not a good excuse to let all go.... But doctor, in your opinion....how you define death? and existence?

د. يحيى
يا سناء، لم أعرف أنك أنت تلميذتى الهاوية إلا هذا الصباح، ياسناء ربنا يخليك، مازلت أذكر تشجعيك

بمناسبة أغنية **"وبدال ما يثور يفن"** وأنت تكتبين إلينا بالانجليزية حتى عنوان اليومية، وقد تعمدتُ هذه المرة ألا أترجم ما كتبت، وأنا أمتلئ غيظا من أحفادى وأصحابهم الذين لا يعرفون الكتابة على حاسوبهم إلا بالانجليزية، لهذا لن أترجم ما كتبت أنت هذه المرة لأغيظك، وليعرف سؤالك من لايعرف الانجليزية من ردّى عليك هكذا:.

..أنا لم أتساءل فى نهاية يومية "عن الموت والوجود" لماذا نترجم وننشر هذه الكتب لأننى أعترض على نشرها أو ترجمتها، بل كان تساؤلى نوعا من الاحتجاج على أن تكون الترجمة لمجرد الترجمة، ما الفائدة إذا نحن لم نتحمل يا سناء مسئولية ما ننشر ونترجم بأى قدر حقيقى.

إذا لم يصلنا بعض ما أراده المؤلف أو المترجم أو الناشر، فنحن لا نستحق هذا الجهد، لقد تصورت أن كل من يقرأ مثل هذا الكتاب الرائع الذى بلغ 610 صفحة من الحجم الكبير كما قلت، ثم يخرج منه بنفس الإجابات التى كانت عنده قبل أن يقرأ عن الموت بالذات، عن الوجود، أتصور أن الأفضل لمثل هذا الشخص أن أنصحه ألا يقرأه أصلا، أنت لا تتصورين كم أفادنى هذا الكتاب وطوّر فروضى حول الموضوع، كما صحّحَ بعض فكرى، وحفزنى للمزيد من البحث حوله.

شكرا لتشجيعك يا سناء مرة ثانية، أما طلبكم أن أقول لك تعريفى لما هو **"الموت"، و"لما هو الوجود،"** فاسمح لى أن **أذكرك أنه لا يخنق المعنى إلا حبسه فى تعريف جامع مانع،** كثير من التعريفات هى سجن للمعنى، ولكن دعينا نستمع لرأى الصديق الابن د.أسامة عرفة فى هذا الموضوع الشائك

د. أسامة عرفة

هل سنتناول الموت لأجل تشكيل الحياة؟؟.. يعني هو إحنا عرفنا نعيش لما نشوف (إزاى) هنعرف نموت ..؟؟
هل الموتى في الحياة أو بعضهم قادرين على الحياة في الموت أم الأحياء في الحياة هم الأقدر على ذلك؟

في العلاج الجمعي هل يمكن الشغل في الموت الموت في هنا والآن ؟؟

د. يحيى

بصراحة يا أسامة كنت أحسب أنك ستدلى بدلوك فى هذه المسألة، وإذ بك تغمرنا بأسئلتك الذكية، وبما أنها أسئلة ذكية، فهى تحمل إجاباتها غالبا، فاسمح لى أن أكتفى بأن أضع لبعضها هوامش مثيرة، وليست إجابات بالضرورة.

- **أتصور أن الوعى بالموت، كوعى آخر، يجعله حياة كامنة ومن الآن.**
- **الأحياء، فى الحياة هم القادرون على الموت والحياة معا .**
- **الموتى فى الحياة لاهم قادرين على الموت ولا على الحياة.**
- **فى العلاج الجمعى يمكن الشغل فى الموت فى الهنا والآن كأروع ما يكون،** وإذا أتيحت الفرصة يا أسامة سوف أفصّل لك ذلك.

وبعد يا أسامة، إن الدخول فى هذه الأمور هكذا قد يحير القارئ الزائر أكثر فأكثر، وأنا لا أعرف حلاً لهذه المسألة، وقد واجهتها كما لاحظت وأنا أتناول مسألة الفطرة، وعلى فكرة قضية الوجود والموت عندى لا تنفصل عن قضية الفطرة كحركية متنامية، ولكن قبل ذلك دعنى أسمع رأيك فى **قراءتى (لحلمىْ محفوظ (5)، (6) يومية 8-11-2007).**

د. أسامة عرفة

ماذا لو جمعنا الحلمين معا فى حلم واحد افتراضاً ثم نعيد قراءتهما من منظور ظهور (البلياتشو والأستاذ) باعتبارهما رموز لحركية وتفاعل الكيانات الداخلية .. معا أو مع الواقع الخارجى.

ولاَ بلاش شقاوة؟؟

د. يحيى

طبعاً بلاش شقاوة، أنا خجلان من الجملة التى أضفتها للحلم (6) وغالبا لن أكرر مثل ذلك أبدا مع أن شيخى محفوظ سمح لى بها بعد نقاشه مع الشيخ محرم بكالمة هاتفية موثقة، أنا يا أسامة أجد صعوبة متزايدة فى نقدى لأحلام فترة النقاهة هكذا واحدا واحدا، ويبدو أننى ورطت نفسى إذ ألزمتها بمنهج قراءتى النقدية للأصداء، وهأنذا أتبين أكثر فأكثر أن هذا شئ وذاك شئ أخر، ولا أعرف إن كنت سوف أستمر هكذا أم سأجد منهجا آخر.

ربنا يسهل، والآن هات ما عندك عن الفطرة.

د. أسامة عرفة: الفطرة الجسد و تصنيم الألفاظ

جاء في مقالكم المكثف أن الفطرة حركة في مقابل السكون الفطرة **حركة واتجاه..**

د. يحيى

أظن أننى كنت أريد التأكيد أكثر على أنها "حركة فى اتجاهها".

د. أسامة عرفة:

أود أن أشير أن الاسلام لم يقل غير ذلك بل قال ذلك نصا وروحا ..لنتأمل قوله تعالى: **"ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها"**، فطرة تركيب جدلية ثنائية القطبية على مدى طيف شديد الامتداد بين الفجور والتقوى، وعليه فاختزال الفطرة إلى الفجاجة من ناحية أو النقاء من ناحية أخرى يؤدي إلى المحصلة صفر، إذ يسقط هذا التركيب الجدلي.

ثم نتأمل قوله تعالى : قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها : وهو يعرض لفعل حركي جدلى ممتد من قطب في اتجاه القطب الآخر فجورها- تقواها وهو **"زكاها – دساها"**، حركة التزكية في الاتجاه من الفجور إلى التقوى ودساها فى الاتجاه من التقوى الى الفجور

د. يحيى

لن أعلق على تعليقك حتى لا أفتح الباب للمناقشات اللفظية التى لا تنتهى حتى قبل آخره، لقد وصلنى توجهك، وأنا أوافق عليه من حيث المبدأ، فقط أريد أن أذكرك بما جاء أغلبه فى مقالى عن الفطرة والجسد، من حيث أن أغلب الفقهاء، إن لم يكونوا كلهم، قد اختزلوا الفطرة إلى عكس ما تقول وأتصور، ثم دعنى أعلن لك أن هذه الآيات الكريمة لم يصلنى منها أى استقطاب إلا فى نقطة البداية حين ألهمها ربها ما ألهمها، أما بعد ذلك فقد **وصلتنى حركية الفطرة، والفطرة الحركية** من خلال **"زكاها"** التى ليس لها معنى إلا "نَماها"، فعرفت منها، ومن كل ما أعرف، أننا نحن الذين ننميها بهذا الجدل الذى يحتوى فجورها لا ينفيه، وفى نفس الوقت يتصاعد بتقواها ولا يكتفى به، فتكون الحركة كدحا إليه هى هى طريق "نَماها".

إياك يا أسامة أن تتصور أننى أفسّر النص الكريم بالعلم العاجز، هذا ما وصلنى استلهاما لا أكثر، وهى مسئوليتى فردا، حتما ودائما.

دعنا أنت وأنا نعتذر للقارئ الزائر إن كان لم يستطع متابعتنا، ونختم بصوت هادئ ونحن نستمع إلى الابن صاحب الفضل اسلام أبو بكر على هذا الموقع. وقد كتب لى هذا الأسبوع كثيرا شاكرا حوارى معه، الأسبوع الماضى، وأننى ذكرت فضله، مع أننى لم أوفيه إلا بعض حقه، ماذا عندك يا إسلام اليوم؟

أ. إسلام (حوار بريد الجمعة) 2-11-2007

...عن مستويات الوعى، أعتقد أننى أريد أن اجتهد أكثر فأكثر كى اتلاحم فكريا وكليا مع مصطلح "تحريك مستويات الوعى معا"، حتى أفهم أكثر فأكثر؟

د. يحيى

تصور يا إسلام أن التقاطك لتعبير **"تحريك مستويات الوعى معاً"** كان من أروع ما طمأننى أن وضع هذه الكلمات الأربعة بجوار بعضها هكذا، قد أوصل شيئا ما إلى من أريد، شيئا هاما ورائعا، أرجو أن نقدر على الإحاطة به بهدوء: **"واحدة واحدة". تقول يا إسلام: "حتى أفهم أكثر"**، وأنا أيضا أريد أن أفهم أكثر وأكثر، ولكن لنتذكر **"معاً"** أن المسألة لا تتوقف عند الفهم ولكنها -يارب- تمتد إلى **"المعايشة"** و**"الخبرة"** و**"الوعى"** و**"المعرفة"**

... دعنا لا نتوقف، وسوف نفهم ونعرف ونعمل معاً مادمنا قررنا أن نعيش.

السبـــــــــت 10-11-2007

71- .. انتصـــــار السعـــــادة: برترانـــــد رســـــل(!)

هذا عنوان خادع، فاحذر

سبعون يوما (30 + 31 + 9، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر) وسبعون يومية: تَغَيَرَ من خلالها نمط الإلتزام اليومى، وتلاحقت الأفكار، وتعددت الاقتراحات، وتكررت التراجعات، سبعون يوما وأنا أحاول الهرب، أو التراجع فلا أستطيع لكننى مضطر إلى هذه الوقفة معكم لأعود إلى التساؤل:

ماهذا؟ ما هذا الذى يجرى؟ لماذا؟ إلى أين؟ حتى متى؟

كلما لاحت لى فرصة للتوقف للتقييم أو محاولة الرد على مثل هذه الاسئلة، اختفت وراء إلحاح السكرتارية وهى تطالبنى بيومية الغد، بشكل ملاحق يستحيل صده.

ثبت أن اليومية ليست عامودا يوميا يتابع مجريات الحياة ليسهم برأى ما أو يضِئ ظلام زاوية ما،

وهى ليست عملا متصلا يصدر فى حلقات.

وهى ليست عملا جماعيا يساهم المسئول عنه مواصلة تنظيمه بمشاركة آخرين فى دفعهم إلى إنجازه والحفاظ عليه.

حتى دائرة الذين وصلتهم بعض ملامح هذه اليومية هى دائرة محدودة محدودة، لم تتجاوز بضعة أشخاص – نفس الأشخاص – صحيح أنها تتسع ببطء؟ ولا أنكر أننى أحاول أن تتسع أكثر، ولكننى فى نفس الوقت أرجو ألا تتسع أكثر،

أحاول أن تتسع لأبرر الاستمرار، وأنها البداية القادرة أن **"تَضْرى إذا ضَرِيتُمُوهاَ فتَضْرَم"**.

وأرجو ألا تتسع فلست مستعداً أن أكون مسئولا عن التمادى فى اتساعها، مع الالتزام بالتجاوب والحوار المتصل.

أكتشف من خلال كل ذلك أمورا غريبة، مفيدة وصادمة وجديدة ومرعبة معا:

أكتشف مثلا أنه لا شئ ينتهى،

وأن البدايات اصبحت أعجز عن أن تبرر تكاثرها،

وأننى لا أستطيع أن ألاحق ما أكتشفه مخزونا فى حاسوبى (الكمبيوتر)

ولا أنا قادر أن أوجز بعض أو ما هُمِّشت به – مُصَارعاً – أغلب الكتب التى قرأتها ولم أحدد كتابةً ما وصلنى منها،

كما لا أستطيع أن ألاحق الأفكار التى تراودنى وأريد توصيلها إلى أصحابها.

ولا أن أتابع راصداً ما يغمرنى به مرضاى من رؤى جديدة، تعيد تنظيم كل ما أعرف، أو تجعله يتناثر منى وأنا غير واثق متى أو كيف يعود ليستقر فى شكله الجديد.

أتوقف لدقائق – ليس أكثر – وأنا أحاول أن اختار موضوع يومية اليوم (أى يوم)، ولا تطول الدقائق فلا وقت للتردد، فأمد يدى إلى أقرب كتاب من مكتبتى التى تقع أغلبها خلف مكتبى، أحيانا أمدى يدى دون أن أنظر ورائى، وأمسك بالكتاب الذى نجح أن يقفز إلى يدى دون أن أعنيه تحديدا: انجليزى، عربى، نفسى، شعر، طب، فسلفة، مكتبة الأسرة، أى حاجة، أتصفح الكتاب فأجد به **"آثار عدوانى"** على صفحاته بالحوار والشجار، والاحتجاج، وعلامات التعجب، وعلامات الاستفهام، والدوائر التى تحيط بعض الفقرات، وأحيانا بعض الجمل، وأحيانا بعض الكلمات، فأعرف أننى زرت هذا الكتاب يوما ما، وإلا ما لحقتْ به كل هذه الإصابات والكدمات، والزخارف والحليات. حين يطلب منى أحد أبنائى أو بناتى أو زوجتى أو طلبتى أن أصوّر له نسخة من كتاب نادر أكون قد مدحته أو اقتطفت منه شيئا، ويعرفون أن به ما به من آثارى هذه مما يحول بينهم وبين تلقائيتهم، يترددون فى الإلحاح على النسخة، ويبحثون عن نسخة عذراء لم يمسها بشر، خصوصا بشر مثلى لا يرعى للبياض (ولا لسواد الحروف) حرمة بشكل حضارى مهذب،

أكتشف أن أى هامش من هذه الهوامش يصلح لموضوع يومية،

الكتب التى مازالت صفحاتها تزهو بعذريتها تُبْلِغُنى رسائل أكثر تحدّياً: إذا كنت هكذا لم ألمسها فلماذا اشتريتُها؟ ولماذا احتفظتُ بها فى مكتبتى؟ لأعود إليها!؟ متى؟ وكيف أعود إليها والكتابة أصبحت تلاحقنى هكذا حتى زحفتْ على الهامش الذى قد كنت قد جنّبْتهُ للقراءة؟ أقلّب فى هذه الكتب العذراء فأعرف لماذا اقتنيتها، وأحيانا أتذكر يوم اشتريتها أيام أن كنت أشترى كتبى بنفسى، ومؤخرا قد أتذكر متى كلفت بعض مساعدىّ بالبحث عنها وشرائها، طيب ماذا فعلت بها بعد اقتنائها؟ ها هى تقبع ساكنة منسية بين مئات الكتب دون أن تعبر حتى شريط ذاكرتى وأنا بعيد عنها، لا أجد فى صفحاتها – كما قلت – أى أثر من آثار عدوانى، فأذهب إلى المحتوى (أو الفهرس) فأكتشف فصولا كنت أدفع جزءاً من عمرى لأعرف ماذا بها تفصيلا، ويدفعنى دافعى الأول أن أرجع إلى متن أحد هذه الفصول، فأفاجأ أنها كذلك، أنها هى التى كنت أريد أن ألم بموضوعها حين اقتنيت الكتاب، كنت أريد أن أحيط بوجهة

النظر التى تعرضها، والمصيبة الأكبر حين أكتشف أن بها مواضيع، أكون شخصيا وصلت فيها مؤخرا إلى فرض أو تصور أو نظرية تصورت أنها جديدة وأصيلة , وأننى بذلك أضيف إلى المعرفة أو إلى العلم إضافة جديدة غير مسبوقة، وإذا بهذا الفصل الذى عثرت عليه فى هذا الكتاب قد تناولها هى هى من قديم، بأروع وأدق مما اكتشفتُه أنا بينى وبين نفسى مؤخرا، أخجل من جهلى، وأحمد الله أننى لم أسارع بنشر أفكارى هذه حتى لا تبدو أنها سرقة بشكل أو بآخر، ثم أعود أفخر أننى وصلت بنفسى إلى ما سبق أن وصل إليه هؤلاء الرواد الثقاة، يتكرر ذلك معى حتى أخترع ما أسميته "المصداقية بالاتفاق **"الطولى"**، أو **"التاريخى"** Longitudinal Consensual Validity بمعنى **أن إعادة اكتشاف نفس النظرية ولو بعد عشرات السنين هو فى حد ذاته نوع من إثبات مصداقيتها** (وطبعا هو إثبات لجهل اللاحق مثلى بجهود وأفكار من سبقوه)

نعم: يحدث ذلك حين يكتشف أحد العلماء نظرية ما فى مكان فى الكرة الأرضية، وفى نفس الوقت (نفس السنة ، نفس الشهر، قبل ذلك بقليل بعد ذلك بقليل، قبل نشر أو انتشار احداها)، أقول وفى نفس الوقت يكتشف آخر نفس النظرية تقريبا، فَيُتَّهم مَنْ نشرها بعد الآخر، أنه سرقها، مع أنه قد يكون اكتشفها وسجلها لنفسه أو لخاصته، ولم تتح له فرصة النشر الأسبق. وسوف افصّل ذلك فى يومية الغد "المصداقية بالاتفاق" وأكتفى هنا بالإشارة إلى نظرية الانفعال لجيمس – لانج، الأول "جيمس" أمريكى والثانى "لانج" دانيماركى، وتقوم معركة تنتهى بالاتفاق بتسميتها باسمهما معا، الفارق كان سنة واحدة 1884 – 1885، أيهما الأول؟ من يدرى؟ وإلا فلماذا المعركة؟، أما نظرية داروين – والاس عن التطور وأصل الأنواع فسوف نفصل ما دار بشأنهما غداً.

نرجع مرجوعنا إلى الكتب العذراء التى تقع فى يدى وانا ابحث عن موضوع لليومية التى علىّ أن أكتبها اليوم (أى يوم)، فأجد أننى أصبحت أشعر أن كل كتاب (تقريبا بلا استثناء) يمكن أن يكون مصدرا ليومية مفيدة، حتى الكتاب التافة، أو المزيف، أو السطحى، أو السئ، أشعر أن علىّ أن أوضح للناس ما وصلنى "هكذا"، حتى وصفُته لنفسى "هكذا".

هكذا سمحت لى هذه الورطة بمراجعة ما فعلته بنفسى وبكتبى وبوقتى حتى هذه السن،

أما زيارتى لمخازن حاسوبى وأنا أبحث عن موضوع بذاته، فهى أكثر مصادمة وإرعابا، حيث أننى كثيرا ما أكتشف أننى كتبت فى هذا الموضوع كتابا كاملا، أو فصلا فى كتاب أو فهرساً كاملاً لعناصر كتاب، ثم أكتشف أننى نسيت كل ذلك تماما، وأنه لولا أن الحاسوب قد سجله واحتفظ به لأقسمت أننى لم أخطّ فيه حرفا، ومن البديهى أن أجد فى هذه الكتب والفصول والفهارس مايصلح لآلاف اليوميات التى ورطت نفسى فيها هكذا بالمصادفة.

هذا غير المفأجات الغريبة وغير السارة أحيانا التى

تفاجئنى وانا أبحث فى حاسوبى حين أجد عنوانا رائعا على وجه الوثيقة أو الملف، ثم أفتحه فإذا به يحوى موضوعا آخر تماما ليس له أدنى علاقة بالعنوان، وقد لا أجد المحتوى الخاص بالعنوان أصلاً!! والعجيب أنه حتى هذا الموضوع الآخر الذى اخْتَبَأ وراء العنوان الزائف أجده جديراً بالنظر، وإعادة النظر كما أجده صالحا للتقديم هنا أيضا.

ما هذا الذى يجرى؟ ما هذا؟

أرجع أتأمل وأسأل نفسى لو أن فرويد العظيم (وليس العبد لله الأى كلام)، أو هيجل مثلا كانت عند أى منهما فرصة تسجيل أفكاره وآرائه بمثل هذه العشوائية، وهذه التلقائية، وهذه الكثافة إذن لتركوا لنا من الثراء والإضافة ما هو أكثر مما تركوا، ربما عشرات المرات.

ما هذا الذى يجرى؟ ما هذا؟

الكتاب الذى وقع فى يدى صباح اليوم، والذى كان سبباً فى هذا الاستطراد هو كتاب "انتصار السعادة" لبرتراند رسل، وأنا اكره كلمة السعادة هذه وأتحفظ على استعمالها الطبى والتخديرى والطفولى والعشوائى، وقد كتبت نقداً لكتاب لخصه المرحوم **أ.د. أحمد مستجير** فى مجلة وجهات نظر، بعنوان "علم اسمه السعادة" وقد رفضت أغلب ما جاء فيه وحادثت المرحوم مستجير فى ذلك محذرا ترويج عقار لشركة بذاتها (ذكر د.مستجير اسم العقار فى المقال بحسن نية) تحت هذا الزعم، وكأن السعادة أصبحت حبوبا تباع فتشترى،

تساءلت وأنا أقلب كتاب برتراند رسل العظيم كيف يكتب رجل بهذا الحجم والعظمة كتابا بهذا العنوان **"انتصار السعادة"؟**

تصفحت الكتاب وإذا بى أكتشف أنه من الكتب التى قرأتها بعنف، حتى أن الاعتداء ظهر بألوان أقلام مختلفة، بدأت بالأسود والأزرق، ثم سالت الدماء بالأحمر العادى، والأحمر دم الغزال، لم أصدق وواصلت التقليب حتى وصلت إلى آخر صفحة فوجدت أننى فعلاً أجهزت عليه.

وسوف نعود إلى بعض ذلك مرة فمرة، ربما فى باب "مقتطف وموقف".

....هل عرفت الآن لم حذّرتك من خداع عنوان هذه اليومية؟

الأحـــــــــد 11-11-2007

72- .. عـــــــن "المصداقيـــــــــة" وتشكيلاتهـــــــا

وعدت أمس أن أتكلم عن **"المصداقية بالاتفاق الطولى"**، لكننى رجحت أن زائر هذا الموقع قد يحتاج إلى التعرف على استعمالى (أو استعمال) كلمة ومفهوم **"المصداقية"** عامة قبل أن أتحدث عن المصداقية بالاتفاق، ناهيك عن المصداقية بالاتفاق الطولى أو التاريخى.

كلمة "مصداقية" لها استعمال أكاديمى حين تعنى validity وتشير إلى متانة وكفاءة أداة قياس ما فى مهمتها التى حددتها، مثلا: قدرة اختبار ذكاء على قياس ما هو ذكاء، مع أن هناك اختلافا حول تحديد الذكاء، ولا تنزعجوا من فضلكم، بقدر ما أن هناك اختلافا حول ما إذا كانت هذه الاختبارات تقيس الذكاء أصلا أم لا، فلا تدْهشوا.

وعلى ذلك فكل معلومة، وكل مقياس يحتاج من الناس موقفا ناقدا، وليس بالضرورة حذرا.

الاستعمال الثانى لكلمة مصداقية هو الاستعمال العام الذى يتواتر أكثر فى مجالات السياسة والتاريخ، فمثلا حين نتكلم عن مصداقية بيان الحكومة أو وعودها ، نحن نبحث عن مدى ما تحقق من التطبيق الفعلى لما أعلنوه، على مدى جدول زمنى (عادة لايحددونه).

وبالنسبة للتاريخ فحدّث ولا حرج.

حين دعيتُ مؤخرا لمناقشة مسلسل **"الملك فاروق"**، اعتذرت للقناة تلو الأخرى لسبب بسيط، وهو أننى لم أشاهد المسلسل أصلا، اللهم إلا لحظات متفرقة بعد عودتى من العيادة متأخرا. لحظاتٍ لا تصل أبدا إلى دقائق، مع أننى سمعت عنه ما كان ينبغى أن يدفعنى إلى متابعته، لكننى لم أستطع، ولم أرغب، خاصة بعد أن انقطعتُ عن متابعة كل المسلسلات بلا استثناء، ليس فقط بسبب الوقت، وإنما تحَدّياً لما شعرت أنه يحيط بى (وبالناس) من عمليات أسميها **"الإغراق" و"التشتيت"** مع سبق الإصرار، كان أبى دائما يردد بيت شعر جميل يشرح العجز عن الانتقاء حين يختار صياد غزلان أىَّ غزال (ظبى) يصيد، كان اسم الصياد **"خِراش"** (هذا هو اسمه أنا مالى! لم أسأل أبى فليس هو

الذى سّماه)، كان هذا البيت يقول "تكاثرت الظباء على خراش... فلا يدرى "خِرَاشٌ مايصيد". وبالقياس: أدركت سر عزوف ذاك، حيث **"تكاثرت المسلسلات على المشاهد، فما يدرى المشاهد ما يتابع"**، تراجعتُ بهدوء، وحُرمْتُ حتى من مشاركة مرضاى بعض اهتماماتهم التافهة ومنها المسلسلات (وهذا من أهم علامات الصحة النفسية!! الاهتمام بالتفاهة اختياراً)، المهم قَبِلَ أغلب الذين دعوني إلى مناقشة المسلسل اعتذارى إلا مُعِدَّة شابة فى قناة جديدة متحمسة، قالت لى إنك مدعو لتناقش التاريخ، بمناسبة المسلسل، وليس لمناقشة المسلسل، أفحمتُنى الشابة فقبلتُ، وتكلمت – على الهواء- عن **"مصداقية التاريخ" (على فكرة البرنامج فى الموقع الآن)** ، وقلت فيما قلت إن التاريخ – حتى الذى يحكيه المؤرخون، حتى ما يُدّرس أكاديميا ، **هو على أحسن الفروض ، ليس إلا وجهة نظر**، وأضيف هنا أن التاريخ حتى إذا كان مدعما بالوثائق، هو يحتاج إلى وقفة متأنية قبل قبول ما يزعمون –ولو بالوثائق- أنه حقائق.

هذا، وقد سبق أن أعلنت مرارا موقفى مما يقوله ويكتبه هذا الحرفى الرائع، أستاذ أجيال الصحافة المتلاحقة، محمد حسنين هيكل حين رحت أحذر من الاستسلام لما يقول انبهارا بالمواثيق التى يقدمها، ثم استعملت لهذا التحذير تعبيرا لا يخصه –شخصياً- بالضرورة أسيته، **"الكذب الموثق"**، أعنى به مايصلنا حين يكون للمؤرخ أو للمحرر أو للراوى موقفا متحيزا (شعوريا أو لا شعوريا) ثم يروح يبحث، أو يعثر!، على ما يؤكد موقفه انتقائيا، فيوثّق ما يقول بما يخالف الحقيقة – بقصد أو بدون قصد- أسيتُ هذا الموقف المتحيز المدعم بالأوراق الرسمية "بالكذب المُوَثّق"، بل إننى حين كنت أجد جدلا خطيرا حول صحة حديث شريف من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يعتدّون بعلم **"الجرح والتعديل"**، فأذهب إلى منهاجية هذا العلم، , وأقيسه بأغلب معطيات مناهج التسجيل الموضوعية، وبالأصول الأكاديمية لسعة الذاكرة، ومداها، ثم أستغفر الله العظيم، وأدعو لمن يبلغه (أولا يبلغه) ما بلغنى، ولنفسى، بالغفران والهداية، وأنتفع بالحديث النافع الملهم شاكرا أفضالهم، مصليا ومسلما على رسولنا الكريم،

ثَمَّ جانب آخر يتعلق بالمصداقية التاريخية أيضا وهو مدى مطابقة ما يسمى بالسيرة الذاتية على واقع الحال، **وقد أشرت إلى ذلك تفصيلا فى يومية سابقة- هرمان هسه-**

أمّا أغرب ما دعانى إلى الشك أكثر فأكثر فى مصداقية بعض التاريخ. فهو الاعتماد على صور وتماثيل وآثار وكتابات قدماء المصريين، واستخراج حقائق تاريخية، منها: نفخر ببعضها، ونفسر بعضها، ونعتبر بعضها مقياسا لغيره ..إلخ

ثم خذ عندك استنتاج حقائق سيرة ذاتيه تحليلية نفسية عن مبدع تشكيلى (مثلاً)، مثلما فعل فرويد مع ليوناردو دافنشى، وغيره، أنا لا أرفض أن يكون الإبداع مصدرا للتاريخ

العام، أو الشخصى (كما سيرد حالا)، لكننى أنبه إلى أنه أيضا "وجهة نظر"، وزاوية محددة لا ينبغى أن تتعدى مساحتها.

التاريخ ليس هو المكتوب فى وثائق التاريخ، لا المتاحة أولا بأول، ولا الرسمية المخزونة لعدد من السنين ثم يفرج عنها للدراسة، وكأنها الحق الذى ليس وراءه ولا أمامه.

التاريخ الموضوعى الحقيقى هو ما احتوته خلايانا حتى الآن، هو تركيبنا الجبلى وما تبرمج فى أحماضنا النووية، نوعا بعد نوع، وجيلا بعد جيل، وأسرة بعد أسرة، ثم أفرادا نحمله ونسعى به: نشوهه، أو نفسد إنجازاته، أو نرعاه.

ليس معنى ذلك أننى حتى أعرف تاريخ الملك فاروق أروح افحص الدنا DNA من ابنته الأميرة فريال، ولكن ما أريد تأكيده هو ضرورة البداية مما هو **"الآن"**، مما هو **"نحن" هكذا**، صحيح أنه من المفيد أن نحيط بالأحداث التى جرت بدرجةٍ ما، لكن لا بد أن يكون ذلك باللجوء إلى أكثر من مصدر، ومن خلال موقفٍ ناقدٍ طول الوقت.

المصادر المتاحة -الأخرى- التى أؤكد لزوم الاستعانة بها، قبل وبعد الوثائق والمؤرخين، يمكن تعدادها كالتالى:

1. الإبداع المنشور بكل أشكاله وخاصة إبداع الحكى، نحن يمكن أن نتعرف على القاهرة، وحقبة مهمة من تاريخنا الحديث جدا، من روايات نجيب محفوظ أكثر من أى مصدر أكاديمى
2. الإبداع غير المنشور (بالمنع الرقابى أو بانعدام فرص نشره) وقد يكون أهم، لأنه قد يحوى من المعلومات ما يتصف بالصراحة والجرأة أكثر بكثير مما يحويه الإبداع المنشور
3. ما سجله الوعى الشعبى بما يتيح أن نقف منه موقف النقد لا التسليم، وهذا يشمل تنويعات كثيرة من أهمها:

- ما سجله الوعى الشعبى الممتد قديما فى أمثال ومواويل وملاحم وسير (السيرة الهلالية مثلا، وما طرأ ويطرأ عليها من ارتجال وتلوين، شكرا يا عم عبد الرحمن يا أبنودى)،
- ما يبتدعه يسجله الشباب الآن من لغة جديدة ويسجلونه ويستعملونه (بالاشتراك مع مجتمع "البيئة" كما يطلقون عليه)،
- ما تسجله **"ثقافة الإدمان"** خاصة، وما يصلنا من **تعرية المرضى خاصة بعد كسرهم**
- ما تسجله الفنون التلقائية والشعبية، والتدين الشعبى فى الموالد، والمديح خاصة...الخ

أكتفى بهذا القدر من المصادر المساعدة لأنبه إلى رأيى فى "مستويات المصداقية التاريخية" التى تعرض على الناس عادة

1. مستوى **الواقع الواقعى** "بما هو" (ونحن لا نعرفه، وقد لا نعرفه مهما حاولنا)

2. مستوى **الواقع المحكى** (شهادات الشهود على عصر ما، أو فردٍ ما)
3. مستوى **الواقع الوثائقى** الرسمى، حالاً ومستقبلاً
4. مستوى **الواقع الوثائقى** الشخصى (بعض الأحاديث المسجلة والسير الذاتية وغير الذاتية).
5. مستوى **الواقع الإبداعى**، والتشكيلى

.....

- فانظر بعد ذلك كيف نرادف بين آخرمستوى (5) وأول مستوى (1) حين نأخذ ما جاء فى دراما أو مسلسل باعتباره مصدرا تاريخا مسلما به
- أو انظر كتب التربية الوطنية ، والتاريخ المقررة فى المدارس الرسمية
- أو أنظر الوصاية اللفظية السلفية التفسيرية المغلقة، على الواقع الحى المتفجر نورا نحو الأصل...إلخ

هذا ، ناهيك عن عبث الحكام بتاريخ من سبقوهم، سرقة، أو نفخا، أو تزويرا أو تشويها.

.....

أنا لا أريد أن أخلص من كل ذلك إلى أية توصية بإهمال التاريخ،

فقط علينا أن **نحسن قراءة ما يصلنا منه،**
وأن نحسن نقده
وأن نحدد مستواه
وأن نتحمل مسئوليته،

خاتمة

يا خبر !!! كل هذا عن المصداقية التاريخية فقط

كل ذلك ولم ننتقل بعد إلى ما أسميته **"المصداقية بالاتفاق الطولى"** التى تعلن جهلى، وفى نفس الوقت أستعملها مبعثا لفخرى أحيانا ؟

فلنؤجلها إلى يومية لاحقة إذا سمحتم.

الإثنيـــــــن 12-11-2007

73- ..عـــــــن "المصداقيـــــــــة" بالاتفـــــــــــاق

تحدثنا أمس عن المصداقية عامة، تمهيدا للحديث عن المصداقية بالاتفاق consensual validity وهو حديث **أصعب، وأخطر،** لكن يبدو أنه **أهم.**

الفكرة الأساسية هي أن الفرض، أو الرأى، أو الموقف، يكون حقيقى وصادق (أى تتحقق مصداقيته) إذا اتفَقَ على صحته أكثر من واحد (بالإضافة إلى صاحبه).

هى **مسألة أصعب** لأن تعبير **"اتفق على صحته"** يصعب تقييمه، كما أن صفات ومواصفات المتفقين يصعب تحديدها أكثر

وهى **مسألة أخطر** لأنها قد تفتح الباب لتصديق آراء وأفكار قد تكون خاطئة، وقد تكون سلبية، وقد تكون ضارة، ثم نعتد بمصداقيتها لمجرد الاتفاق عليها

وهى **مسألة أهم** لأن كثيرا من أحداث التاريخ، بل واستمرار التطور، وربما بقاء الأنواع قد تم بنوع خاص من الاتفاق الذى سمح بهذا البقاء أن يستمر ويتطور.

إذن الذى نقصده بالاتفاق هنا ليس مجرد "إبداء الرأى بالموافقة" أو بتسجيل الأصوات أنْ نَعَمْ!، وإنما يعنى الاتفاق هنا كلا من: الاتفاق بالمشاركة، الاتفاق بالمواكبة، الاتفاق بالتكافل، الاتفاق بالرأى غير المعلن، الاتفاق بالرأى المعلن.

طبعا، سوف لا أتناول كل هذه التصنيفات معا فى يومية واحدة،

بداية شخصية

أشرت أول أمس أن البحث فى مكتبتى عن مواد مثيرة لكتابة هذه اليومية جعلنى أكتشف أن "...مواضيع ونظريات وآراء" أكون شخصيا قد وصلت فيها مؤخرا إلى فرض أو تصور أو نظرية تصورت أنها جديدة وأصيلة، أكتشف أنها قديمة، وأن هناك من سبقنى إليها بأروع وأدق مما اكتشفتُه أنا بينى وبين نفسى مؤخرا، فأخجل من جهلى، وأحمد الله أننى لم أسارع بنشر أفكارى هذه حتى لا تبدو أنها سرقة بشكل أو بآخر، ثم أعود أفخر أننى وصلت بنفسى إلى ما سبق أن وصل إليه هؤلاء الرواد الثقاة،

يتكرر ذلك معى حتى اخترعت ما أسميته "المصداقية بالاتفاق "الطولى"، أو "التاريخى" Consensual Validity Longitudinal بمعنى أن **إعادة اكتشاف نفس النظرية ولو بعد عشرات أو مئات السنين هو فى حد ذاته نوع من إثبات مصداقيتها"**

قيل وكيف كان ذلك؟
هذا هو ما يحتاج هنا إلى أيضاح
متون هيرميس

مثلا: وأنا أجتهد فى قراءة الموت بداخلى، وحولى، ثم ناقدا بالذات لخرافيش محفوظ، وقبلها أفيال فتحى غانم، ثم فى **(كتاب الموت والوجود الذى أشرت إليه منذ أيام يومية 7-11-2007)** ثم أثناء مناقشاتى مع أصدقاء وصديقات، خطر ببالى فرض ما عن الموت وعلاقة الوعى الخاص (الوعى الفردى/الوعى الذاتى) بالوعى الكونى، بالمطلق إلى وجه الله عز وجل، جاءنى فرض يقول: "إن الموت قد يكون، أو يشمل، انتقال الوعى الخاص إلى الوعى الكونى إليه سبحانه وتعالى"، مع اختلاف نوع النقلة سهولةً وصعوبةً، اتساقاً ونشازا، ألماً وتناغماً ..إلخ، وإذا بى أكتشف – وأنا أبحث عن مواد لهذه اليومية– أن نفس الرأى ورد فى **"متون هيرميس"**، وكان الذى نبهنى إلى ذلك صديق سمع منى هذا الرأى، مما جعل صديقا آخر يهدينى نص هذه المتون فأعيد اكتشافها الآن فى مكتبتى. كل هذا لا يعنى بالضرورة أن فرضى هذا، أو متون هيرميس (هو هو) هو صحيح فى ذاته لمجرد وجود هذا الاتفاق، ولكن التساؤل الذى جاءنى يقول: **كيف يصل العقل البشرى/الوعى البشرى مفصولا بآلاف السنين إلى نفس الفكرة بنفس التفاصيل؟**

هذه واحدة، وهى خبرة شخصية محدودة.
نظرية فى الانفعالات

ثم تذكرت نظرية الانفعالات المسماة باسم **جيمس-لانج**، (وهى النظرية التى تقول بسبق التفاعل الجسدى – خاصة الأتونومى – للانفعال العاطفى المصاحب)، وقد كنت قد حسبت لأول وهلة أن هناك واحداً اسمه **جيمس لانج** هو صاحب هذه النظرية، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا الشرطة بين الاسمين؟ لكننى حين قرأت التفاصيل عرفت أنهما عالمان لا عالم واحد، وأن جيمس هو أمريكى، فى حين أن **لانج** دانيماركى، وأن أحدهما اكتشف النظرية ونشرها سنة 1884 والآخر اكتشفها أيضا سنة 1885، وأنه لَمَّا صَعُبَ التحقق بشكل كامل من أيهما أسبق، وخاصة مع اعتبار وقت الاكتشاف بالنسبة لوقت النشر، انتهى الأمر إلى أن تكتب النظرية باسمهما معا، وأن تلحق السنتان بعد اسمهما هكذا: **نظرية جيمس-لانج 1884-1885**. هذان العالمان وصلا إلى نفس الفكرة – النظرية، بالصدفة برغم التباعد المكانى بينهما، وصلا إليهما فى نفس السنة تقريبا، وقد أدى اتفاقهما إلى دعم النظرية لفترة من الزمن قبل أن تلقى نقدا قاسيا أعتقد أنه ينبغى أن يُراجع الآن، بعد اكتشاف العلم المعرفى إسهام الجسد ليس فقط فى برمجة العواطف وإنما أيضا فى التفكير.

نظرية التطور وأصل الأنواع

اتفاق نبيل آخر تم حين تواكب اكتشاف **تشارلز داروين** نظريته فى أصل الأنواع، بعد رحلة دامت عشرين عاما وبعد عودته إلى انجلترا وقبيل أن ينشرها، تواكب فى نفس الوقت تقريبا مع اكتشاف **ألفريد والاس** (الذى كان فى الهند آنذاك على ما أذكر) لنفس النظرية ولكن خلال بضعة أيام أو أسابيع من الفكر المنظم والحدْس الفائق.

الجميل فى هذه القصة هو تلك الصداقة التى نشأت بين الاثنين على اختلاف وضعهما الاجتماعى والطبقى والمالى، وعلى اختلاف تخصصهما، وبرغم احتمال التنافس على أحقية السبق بينهما، ومن مظاهر نبل هذه الصداقة موقف داروين الذى أصر أن يقدم والاس باعتباره شريكا فى النظرية إذْ راح يعترف بفضله طول الوقت، وبدوره راح والاس يحرص على أن يسمى النظرية "بالداروينية". والاس أيضا هو الذى أطلق على داروين صفة **"نيوتن التاريخ الطبيعى".**

ليس هذا هو المهم فيما نحن بصدده، إن غاية ما أريد التركيز عليه هو أن نفس الفكرة (النظرية) تولدت فى نفس الوقت عند اثنين بعيدين عن بعضهما البعض قبل ان يتصادقا، إنى أريد أن اقتطف من **فريريك بندز** الذى أوضح تلك العلاقة النبيلة والأمينة بين الاثنين تعقيبه فيما يتعلق بالمصداقية بالاتفاق على الوجه التالى"...بالنسبة لى (بندز) **يبدو أن ولادة نفس النظرية بواسطة شخصين مختلفين فى نفس الوقت يزيد من احتمال أن كلا منهما قد استخلص حقيقة لها مصداقيتها ،..إنه من المستبعد أن يصل باحثان مختلفان وبعيدان عن بعضهما البعض إلى نفس النظرية، إن لم يكن ثَمَّ دليل فى الطبيعة على أنها صحيحة"**

هذا هو ما عنيته – فى العلم – **بالمصداقية بالاتفاق،** سواء الاتفاق الآنى (العرضى) ظهور نظريتان فى وقت متقارب جدا، أم الاتفاق الطولى، إعادة اكتشاف نفس النظرية بعد زمن طويل بواسطة آخرين لم تصل إلى علمهم أن نفس النظرية قد سبق اكتشافها"

تساؤلات صعبة

أتوقف هنا لأغامر وأضع عدة تساؤلات (قد تولّد فروضا) تقول

1- هل يوجد ما يمكن أن يسمى **العقل البشرى الجمعى (أو الوعى المعرفى الجماعى)** القادر على "الحمل" بمشروع معرفية ما، كأنه **رحم الكون البشرى،** ليلدها من خلال بعض الأفراد بعد **أن تكتمل مدة الحمل؟** وهل هذا هو ما يفسر التزامن فى ظهور مثل هذه النظريات معا فى مكانين مختلفين، وفى نفس الوقت تقريبا؟

2- هل يمكن أن يظل هذا الرحم الجمعى المعرفى حاملاً لمشاريع نفس الأجنة، مع اختلاف فترات الحمل، فتولد النظريات من خلال الأفراد فى أحقاب مختلفة كلما أتيحت لها الفرصة؟

3- يا ترى ماذا فعلت الفرص التكنولوجية التواصلية الأحدث فى هذا العقل الجمعى (الوعى الجماعى المبدع)؟ هل زادت من فرص نشاطه معا، ومن ثم من فرص أن "يحمل" بالأفكار الجديدة أفرادا أكثر فأكثر، حتى من الأفراد العاديين فتكون فرص ولادة ما ينفع الناس أكثر فأكثر؟ أم أنها أفسدت تناغم هذا الوعى المعرفى الجمعى (العقل البشرى الجماعى) بالتركيز حتى الإغراق بتواصل رمزى لفظىّ ملاحق طول الوقت؟

4- هل توجد علاقة بين احتمالات تكوين الأفكار والنظريات الأصيلة المتجددة فى رحم هذا العقل الجمعى، ثم ولادتها فى أزمان متقاربة (أو إعادة ولادتها فى أزمان متباعدة) من خلال بعض الأفراد المتميزين عادة، وبين نظرية "المثل" لأفلاطون (أذكر أن احدهم – ربما أليكسيس كاريل- قال إنه يشك أنه عبر التاريخ لم يفهم جمهورية أفلاطون أكثر من "دستة" من البشر، وأنا أصدقه)

5- هل يمكن أن يطمئننا ذلك إلى أن الكون، بهذا التركيب، يحمل مقومات حفظ الحياة، بفضل الله، فتُنْقذ البشرية ضمنا، فى مواجهة كل هذا العبث القاتل الذى تمارسه قوى الانقراض التدميرية الانتحارية الزاحفة من أعلى معظم الوقت؟

وأسئلة أخرى كثيرة، لا أستطيع، أو لا أريد، الإفصاح عنها

اعتذار (نصف نصف)

ولكن ما جدوى كل ذلك فى هذه اليومية؟

لست أدرى

لابد أن لها جدوى،

وإلا ما كتبتها هنا الآن.

الوجه السلبى

ثم إنى سوف أؤجل الحديث عن الوجه السلبى لما أسميته **"المصداقية بالاتفاق"** التى لابد وأن تكون سلبية، بل وضارة وخطرة حين يكون **الاتفاق زائفا، أى يفعل فاعل، أى بتأثير مغرض أو أعمى، يشوه الطبيعة البشرية كما خلقها الله.** فنحن نعرف – مثلا- عبثية الديمقراطية المزيفة التى يتبرمج بها مجموعة من الناس **فيتفقون على تولية أسوأ من فيهم عليهم،**

كما نعرف **الإعلام الغاسل لأخلاق البشر حتى يتفقوا على هلاكهم،** لصالح هلاك الأثرى فالأثرى!! من خلال عماه الانتحارى،

وأيضا لا يخفى علينا غباء الاتفاق على استهلاك ما لا لزوم له لمجرد الاتفاق على أنه له لزم جدا بفضل الإعلانات،

كل هذا جدير بأن يقلل من غلوائنا وحماسنا لما يسمى المصداقية بالاتفاق **"المصنوع".**

وفى العلاج الجمعى

فى خبرتى فى العلاج الجمعى، أثناء الجلسة النشطة، التى تستغرق90 دقيقة أسبوعيا، وتتكون من مجموعة من 8-10 أفراد غير المعالجين، يحدث التالى: يُطرح **رأىٌ ما،** أو يعلن أحد المرضى **موقفا ما،** أو يبدو على المريض، أو المعالج تعبير جسدى، أو

يلوح فى عين أحدنا قولٌ ما، ونحن فى المجموعة **لا نتناقش، وإنما نعايش ما نقول** بكل اللغات(!!)، لا يوجد: **إثْبتْ لِىَ واثبت** لَكْ، لا يوجد **"بأمارة، وعشان، وبما إن..."**،

إذن ما ذا يوجد؟

نروح نعمّق هذا التعبير أو نعيش هذا الرأى، ونعرضه على بعضنا البعض، فيصل إلى البعض ولا يصل إلى آخرين، وقد يصل معكوسا إلى بعضنا، فندرك عكسه، ثم نعيش الاحتمال ونقيضه، ونشارك فى القبول والرفض، وننتهى باتفاق نسبى (طبعا ليس بأغلبية الآراء، وإنما بتحريك رأى جَمْعِىُّ يُحْضَرُ – دون إعلان مباشر – وسط المجموعة ضامًّا نَشِطا) ثم نأخذ ما اتفقنا عليه، ليس قضية مسلمة، فنعيد اختباره، ونرى نتائجه على صاحبه، ثم على المجموعة، ونواصل مسيرة النمو

أعرف أعرف،
وصلنى اعتراضك عزيزى القارئ/الزائر
لتأخذها نكتة إن شئت
لكنها **"مصداقية باتفاق المجموعة" على شىء مشترك على أن "شيئا" يتم من خلاله النمو فالشفاء**
وتظهر نتائجه باضطراد

هل هكذا تمّ التطور؟
ربما هذا هو ما حدث بين الأحياء على مدى التاريخ الحيوى،

فبإعادة النظر فى قوانين ومسار البقاء، انتبه العلماء فالناس إلى أن **مسألة البقاء للأقوى** ليست هى القاعدة الأولى والأخيرة، وإنما البقاء – أيضا وقبلا – **"للأقدر تكافلا"**، مع أفراد نوعه، ومع بقية الأنواع.

وأحسب أن اتفاق الأحياء (الباقية) على أن البقاء ممكن ومستمر، قد أُعلنت مصداقيته لنا نحن البشر، من خلال أننا مازلنا نحيا بين كل هذه الأحياء، مع أننا – مع جميع الأحياء الباقية – لا نمثل إلا واحداً فى الألف من كل الأحياء عبر التاريخ، والباقى 99.9 % انقرضت.

فأين نضع صراعات الإنسان المعاصر بين كل ذلك؟
وأى "اتفاق" هو الذى يسود الآن،

الاتفاق المصّنع من خارج الطبيعة البشرية لصالح هلاك الانتحاريين الأثرياء العمى، ونحن معهم؟

أم الاتفاق التكافلى الذى يثبت مصداقية أننا "يمكن أن نعيش معاً"؟

هيا!

الثلاثـــــــاء 13-11-2007

74- استطـــــــرادات طريفـــــــــــة وسخيفـــــــــــة !!

استطرادات طريفة وسخيفة !! حول كتاب جيّد عن "السعادة"، برغم كل شئ!

كتاب برتراند راسل **"انتصار السعادة"** (الذى لن أتناوله تفصيلا اليوم) ظهرت طبعته بغلافها الورقى سنة 1975، وقد كتب قبل ذلك ربما بأكثر من ربع قرن، ربما، فى حين أنه توفى سنة 1970 بعد أن ناهز المائة عام (ولد 1872)، والكتاب إسمه بالإنجليزية the Conquest of Happiness وقد ترجم إلى "انتصار السعادة"، رجعت إلى أصل كلمة Conquest ولم أرتح للترجمة، ولم أجد بديلاً، فرضيت بالترجمة.

هو كتاب إنسان، فيلسوف، شجاع، عالم رياضى: لعله وجد السعادة بطريقته الخاصة، بعد رحلة طويلة من البحث والمحاولة، حتى وصل إلى مرحلة الحكمة المِعْطاء، ويبدو أنه رفض أن يحتفظ بما وصل إليه لنفسه، أو لعله خجل من ذلك، أو ربما وجد أن سعادته تكتمل إذا أهدى خلاصة خبرته التى أوصلته إلى ما وصل إليه، إلى القارئ العادى، فقد أقرّ فى أول خمس كلمات أن **"هذا الكتاب ليس موجهاً للعلماء.."** وأنه **ليس إلا بعض الملاحظات التى يمكن إدراكها عبر ما يُعرف بالحس المشترك** (أظن الكلمة بالإنجليزية هى common sense وهى تعنى المنطق البسيط العام العادى)

المقدمة لا تتجاوز صفحة ونصفا (قطع صغير) شغل نصفها المؤلف بمقتطف من شعر "والت ويتمان" يقول:

"أعتقد أن باستطاعتى الاتجاه للعيش مع الحيوانات
فهى مسالمة للغاية...ومتمالكة لأنفسها
إننى أقف وأنظر إليها طويلاً طويلاً
هى لا تعرف الأسى والعويل على أحوالها
ولا تستيقظ مستيقظة فى الظلام..تبكى من خطاياها
ولا تجعلنى مشمئزاً بمناقشة واجبها تجاه الله.
فلا واحد ساخط
ولا واحد منها مصاب بهوس تملّك الأشياء
ولا أحدها يركع لآخر أو لواحد مثله عاش منذ آلاف السنين

هذا بعض ما كان فى المقدمة!
أما ما جاء على ظهر الغلاف فكان مقتطفا من كلمات لبرتراند راسل شخصيا، قال فيها:

"الحيوانات سعيدة طالما كانت بصحة جيدة، ولديها ما يكفى من الطعام، ورغم أن البشر يجب أن يكونوا كذلك، إلا أنهم فى عالمنا الحديث ليسوا سعداء، على الأقل فى الغالبية الغالبة من الحالات"

اقتطاف شعر **"والت ويتمان"** هكذا لا يسمح لنا أن نتصور أن برتراند راسل يصدقه كله، لكن ماذا عن ما ورد على لسان المؤلف شخصيا على غلاف الكتاب؟ هذا وذاك هو الذى جعل الاحتجاج يقفز منى، لتهجم علىّ استطرادات متلاحقة، قد لا تكون لها علاقة مباشرة بتفاصيل محتوى الكتاب.

نبدأ بالنظر فى شعر ويتمان، دعونا نتفق معه ونختلف.

نتفق على أن الإنسان قد ورط نفسه فيما أدّى إلى حرمانه من السعادة مثل:

(1) العويل على أحواله
(2) الشعور بالذنب
(3) السفسطة العقائدية
(4) هوس التملك
(5) الشرك وعبادة الفرد
(6) التعاسة

ثم نختلف معه فى:

(1) أن الحيوانات مسالمة للغاية
(2) وأنها متمالكة نفسها
(3) وأنها باختصار، سعيدة بحيث نأمل أن نكون مثلها، أو نعيش بينها

ثم توالت الذكريات والاستطرادات هكذا:
الذى استوقفنى فى البداية هو احتمال قبول برتراند راسل نوع سعادة الحيوان مع تواضع مستويات وعيه التى تسهل له هذا التآلف الظاهر، **أو احتمال وقناعة راسل أو ويتمان بما يغرى بالعيش مع أو مثل هذا الحيوان السعيد**، وبالتالى هو يقدم لنا وصفة تؤدى إلى مثل ذلك، أو قريب من ذلك.

ذكرنى ذلك ببعض ما شاع من طُرَف ونوادر فى هذا الاتجاه حين يخيل إلينا أن الحمار هو الأسعد، وأن **النفس المطمئنة** هى النفس الهادئة الساكنة الراضية البيضاء، وأن **الراحة والكسل الاختيارى** هما الدليل على القناعة بما جرى ويجرى، فهى السعادة!

عن والدى أنه قال:
حين أشار رسل هكذا مباشرة إلى نموذج السعادة الحيوانى، تذكرت والدى وهو يعاتبنا مردّدًا:

"كَبِّرْ على العلم يا صديقى، .... ومِلْ إلى الجهل مَيْلَ هائمْ"

"وعِشْ حماراً تعشْ سعيدا، .... فالسعدُ من طَالَع البهائم"

رجعت أيضا إلى حوار الجمعة السابق وقرأت الإبن د. كريم شوقى وهو يقول:

" .. والجهل نعمة، وفيه كرامة، زيه زى الجنون"

ثم يردف

"وحضرتك مصمم تفوقنا من الجهل والكسل اللذيذ والعته البليد"

وعلى ذكر الكسل كان والدى يردد أيضا رجزا يقول
"إن البلادة والكسلْ ... أحلى مذاقَ من العسلْ
إنْ لم تصدقنى فَسَلْ ... من كان قبلى فى كسلْ

بل إن والدى أيضا كان يعابثنا وهو ينبهنا إلى ضرورة النطق العربى السليم، وأن المعنى يتغير بعدم الدقة فى الالتزام بالتشكيل، ثم يروح يثبت لنا ذلك وهو يحكى لنا عن ما فعله بعض المشايخ الجاهزين لتبرير أى كلام حرفى بتفسير جاهز، (والدى كان شيخا بجبة وقفطانا حتى سنة 1924 قبل أن أولد بتسع سنوات، وهو مدرس ثم "مفتش" عربى ودين) حكى رحمه الله (نكتة أو حقيقة) أن أحد زملائه الطلبة المعممين فى المعهد الأحمدى قرأ الحديث الشريف "المؤمنُ كيِّسٌ فطِنٌ" قرأه "المؤمن كِيسٌ قُطْن"، فذهب إلى شيخه متعجبا كيف يكون المؤمن كيس قطن، فانبرى شيخه مفسِّرا: أنْ طبعاً، لأن المؤمن مطمئن طيبٌ، فقلبه أبيض مثل القطن، وأنه باله رائق، وهو هادئ مستقر، فهو بدين مثل الكيس، ثم يؤكد أى أنها نكتة، فنضحك، ونفهم، ونحذر الاستسلام الأعمى، كما نحذر التفسيرات الجاهزة، لكنى أعود إلى أصل الحديث الشريف فأسأل والدى عن المعنى الدقيق لكلمة "كيِّسٌ"، المؤمن "كيِّس" بتشديد الياء وكسرها، فيفهمنى أنها من أرق وأجمل الكلمات العربية وأنها ربما تقابل كلمة "جنتلمان" بالإنجليزية، ثم يضيف ضاحكا هل تعرف أن كلمة "جنتلمان" ترجموها بسبع كلمات هكذا **"رجل ظريف لطيف مُجَلْجَلٌ لاعيب فيه"** ويضحك، فنضحك.

استطراد طويل، لكن هكذا تواردت الأفكار والذكريات تبرر رفضى لهذا **الكسل العقلى** إذا سمى **"سعادة"** (وهو مالم يَقُلْ به راسل)

يبدو أن موقفى الحذر من هذه السعادة كما جاءت فيما أورده الصديق المرحوم د. أحمد مستجير فى تلخيصه كتاب **"علم اسمه السعادة" يومية 10-11-2007**، وأيضا من السعادة التى ترتسم على وجوه صور النساء المرسومة على أوراق الدعاية للأدوية اياها، صورهن وهن يبتسمن بعد أن يتعاطين الدواء الفلانى، يبدو أن هذا وذاك قد صبغا موقفى من الكتاب بمجرد أن قرأت هذه الإشارة فى المقدمة وعلى ظهر الغلاف.

فاجتمع لدى رفض جاهز **ضد كل ما هو سعادة جاهزة**، وضد سعادة الحيوانات، وضد سعادة شركات الدواء، وضد سعادة الكسل اللذيذ، فلم أستطع أن أوقف الاستطرادا والذكريات، فيقفز عنوان كتاب ترجمه أيضا د. أحمد مستجير فى سلسلة كتاب الهلال باسم **"أفكار تافهة لرجل كسول"** (يونيو 2000) تأليف جيروم ك جيروم (1989) ربما قفز لى هذا الكتاب أيضا لأترحَّم على هذا الصديق الجميل د. مستجير وأغفر له تلخيصه حَسَن النية لكتاب "علم السعادة"، وكتاب جيروم هو –عكس عنوانه– راح يحركنى ضاحكا فى اتجاه نشط ضد كل كسل، فأقرص أذنى وأقول لنفسى، كفى سخفا وشجبا لكتاب برتراند راسل، وانتظر حتى تناقش محتواه، لكن الاستطرادات تتواصل ويفرض كتاب جيروم نفسه، فأقتطف منه هذا المتقطف الطويل، وأقرر أن أضمنَه اليومية، وهو من فصل اسمه "عن الكآبة"، يقول فيه جيروم:

"...أستطيع أن أتمتع بالشعور بالانقباض، وهناك شعور ضاف بالرضا عندما تكون تعيسا..لكن ليس مَنْ يحب نوبة من الكآبة، ورغم ذلك فكلنا يصاب بمثل هذه النوبات. أيا كان نوع النوبة، فإن أحدا لا يدرى لها سببا. ليس ثمة تبرير لها. فلقد تصيبك بعد يوم واحد من وقوعك ثروة هائلة، مثلما قد تصيبك فى اليوم التالى لنسيانك مظلتك الحريرية بالقطار.

فإذا تمكنت منك النوبة فلن تستطيع أن تفعل شيئا، ولا أن تفكر فى شئ، لكنك ستحس فى نفس الوقت بضرورة أن تقوم بعمل ما. لن يمكنك أن تجلس ساكنا. ستضع قبعتك فوق رأسك وتخرج لتتمشى، ما ان تبلغ أول ناصية حتى تتمنى لو أنك لم تخرج، فتكر راجعا إلى منزلك، تحاول أن تقرأ، فتكتشف أن شكسبير ليس إلا كاتباً مبتذلا، وأن ثاكرى ممل، وأن كارلايل عاطفى أكثر من اللازم. تلقى بالكتاب جانبا، وتجلس تسب الكتُّاب واحدا واحدا. تطرد القطة الملعونة من الحجرة، وترفس الباب مغلقا إياه خلفها. تفكر فى أن تكتب خطابا، فتبدأ: "خالتى العزيزة . وجدت الآن أن وقتى يسمح لى بخمس دقائق، فأسرعت أكتب إليك". لن تجد غير هذه الجملة، فتجلس أمامها ربع ساعة دون أن يلهمك الله جملة أخرى. تلقى الورقة فى درج مكتبك، وتقذف بقلمك مفتوحا فوق مفرش المنضدة فتلوثه بالحبر.

تحس الآن أنك شخص محطم مسحوق، وتتمنى أن يأخذك الله إلى سماواته ويريحك. تتخيل نفسك راقدا فى فراش المرض ومن حولك كل أصدقائك وأقاربك ينتحبون. تباركهم جميعا –لا سيما الجميلات منهم. سيقدرونك حق قدرك عندما تقضى– هكذا تقول فى سرك– ثم تقارن، والمرارة تملؤك، بين ما يبدونه من احترام لك عندما تقضى، وبين قلة توقيرهم لك الآن .

تتسبب هذه الأفكار فى أن تحس ببعض البهجة، لكن ذلك لا يستمر طويلا، إذ سرعان ما تتذكر مدى بلاهتك إن أنت تخيلت للحظة أن هناك من سيحزن من أجلك. بالله من سيهتم حقا بك إذا أنت نُسفت أو شَنقت، أو تزوجت، أو غرقت؟ لا أحد يهتم بك، لا أحدَ! من قدّرك يوما حق قدرك؟ من منحك يوما ما أنت جدير به من تبجيل ؟ تستعيد ماضى حياتك كله. إن الواضح الجلى أنهم جميعا قد أساءوا استخدامك منذ كنت فى المهد صبيا

تغرق نصف ساعة تتفكر فى هذه القضايا، فتستشيط غضبا من كل الناس، لاسيما من شخصك. ولولا تلك الأمور التشريحية التى تعرفها لأعطيت نفسك "شلوتا"

إلى أن قال:
هذا -على الأقل- ما نفعله نحن العزاب فى هذه الظروف . أما المتزوجون فلهم طرقهم الأخرى . فهم يشرعون فى التنكيد على زوجاتهم، وفى الدمدمة أثناء تناول الطعام ...الخ

صحيح أن المقتطف طويل، لكننى لم أستطع أن أختزل منه مايكفى، ولعل به دعوة لأصدقائى زوار الموقع ليقرأوا الكتاب، وأيضا هو مثير للتساؤل: كم من الأطباء يعرف هذا الوصف للكآبة هكذا؟! لقد خفف هذا الفصل عنى كآبتى دون تعاطى حبوب السعادة اياها، ولو تركت نفسى لفرضت عليك – عزيزى زائر الموقع- الفصل كله حتى تصدقنى قبل أن أنتقل إلى استطرادٍ شخصى أسخف.

هل الحيوانات سعيدة؟

عندنا فى الطب النفسى عرض اسمه Ecstasy ولم أجد له ترجمة دقيقة فى لفظ واحد حتى الآن، هذه الحالة الخاصة من اضطراب الوجدان، هى خليط من **"الهدوء الحالم والافتتان لدرجة تقترب من الذهول" الجميل**، وحين كنت أشرح لطلبتى الفرق بين هذه الحالة وبين **"فرط المرح"** Elation أو **"فرط الابتهاج"**، كنت أقارن بين ذلك الهدوء الجميل الذى كنت أشاهده والجاموسة بكل حجمها الضخم تتمايل بجسدها بهدوء رائع وهى تستحم فى ترعة بلدنا، وبين قفز كلبتنا الصغيرة أمام والدى وهى تستقبله فى حديقة بلدنا مهللة فرحة بقدومه محتفظة بالمسافة التى قررها هو لها، فتعلّمتْ ألا تتجاوزها، فبقدر ما كان أبى يحبها ويأتنس بها فى وحدته باستراحته فى حديقتنا خارج القرية، كان يضع لها حدوداً لا تتخطاها، ولفرط تعلقها به كانت تحترم هذه الحدود، التى لا تمنعها من استقباله مبتهجة بكل هذا القفز **والتهليل الصاخب**، مقارنة **بنعومة السعادة الذاهلة** عند جاموستنا حين تستحم فى الترعة.

نفس هذه الحالة من الذهول الجميل الذى وصفتُهُ فى جاموستنا فى الترعة يمكن أن تشعر بمثلها على وجه مواطن صالح فى الحزب الوطنى يتابع خطبة الرئيس، كما يمكن أن تشعر بما يقابلها أو يشبهها -من الظاهر- فى وجه بوذى يتأمل، أو صوفىّ وَصْل، أو خيل إليه أنه وصَلْ، أو مبدع توافق مع إبداعه، الفرق بين سلاسة وانسياب حركة هذا الجسم الضخم فى الترعة، والمواطن الصالح عضو الحزب الوطنى، وبين نشوة وانجذاب متصوف لاح له نور ربه، هو فرق بين السماء والأرض برغم، ظاهر التشابه (وسوف نرجع إلى توضيح ذلك يوما).

أنا لا أدعى أن كتاب برتراند راسل قد تناول السعادة بالمفهوم الذى توحيه ظاهرة كلمات "ويتمان"، أو حتى ما جاء على ظهر الغلاف. وأعترف أن كل ما جاءنى بكل هذه الاستطرادات ليس له علاقة بالكتاب، وإنما أنا أنبه إلى ضرورة البدء

بالحذر من طرح مفهوم لكلمة بهذه الأهمية الشائعة مثل كلمة **"السعادة"** فى "سوبر **ماركت"** الكلام بما لا يتناسب مع استحالتها، مهما كانت حُسْن نية **كهل حكيم جميل كريم لم يبخل علينا بخلاصة تجربته.**

من أهم ما يميز هذا الكتاب هو انه بدأ بالتعاسة **"مسببات التعاسة"**، هذا هو الجزء الأول، أما الثانى فهو **"مسببات السعادة"**، فقفز لى تحيز مضاد جديد، فأنا لا أنكر أنه أصبح عندى نوع من الحساسية كلما ركز أحدهم على السؤال عن المسببات، أوتبرع بتعدادها، حتى لو كان براترند راسل، من أين لنا أن نعرف السبب بعد السبب بهذا الربط الخطى بين أكوام الجارى حولنا أمس واليوم ودائما.

ولحين أن أتخلص من بعض مواقفى المضادة هذه، دعونا نؤجل مناقشة هذا الكتاب الذى أفادنى بحق فى أمور كثيرة كانت غائبة عنى، كما نبهنى إلى أخطاء كثيرة كنت متورطا فيها، (ألا يكفى هذا لأعتذر عن كل ما أصابه منى قبل تقديمه).

هأنذا أعتذر، وأدعو له – للمؤلف- برغم أننى أعرف موقفه من دعواتى هذه، لكننى أدعو له رغم أنفه، وأثق أن الله سيرحمه دون أن يستأذنه.

وأترك الكتاب مؤقتا حتى أعود إليه باحترام مناسب، وشكر هو أحق به، وأقدّم –مضطرا رافضا ما أقدّمه- **موقفى من هذا المفهوم الغريب "السعادة"**، كما تحدَّدَ لى من طول ممارستى الحياة أنا أيضا (أصغر منه وقت ماكتب الكتاب بربع قرن فقط)، داعيا الله أن يأخذنى قبل أن أصبح أكثر حكمة!!

وفيما يلى، ما خطر لى **"الناحية الثانية"** (!!)

خطوط عامة (وفروض) للمناقشة :

1- إنه لايجوز الحديث عن السعادة أصلاً، (أو البحث عنها)، فهذا فى ذاته: ضدها

2- إن الوعى بها (أو بأى مسمّى باسمها) هو **نتاج جانبى** لحياةٍ قادرة على إفرازها من ورائنا، بما يسمح لها **أن تتسرب إليك من باب تركته مفتوحاً دون قصد .**

3- إنها **حركة نابضة، عميقة وغامضة، وجميلة وساحرة** دون إعلان ذلك، وهى **لا تتعارض مع الألم الحى، والحزن الخلاّق .**

4- إنها **متعددة التجليات بتعدد التباديل، والتوافيق** مع سائر مستويات وجود الفرد وتقلباته، لكنها فى النهاية حضورٌ كلىّ مشتمل

5- إنها **مسامّية** (تسمح بالدخول) **انتشارية** (يستحيل حبسها فيمن يتمتع بها وحده لنفسه)

6- إنها **نمائية** (من النمو)، **إذْ تواكب وتدفع إلى ما بعدها، والذى هو هى،** لكنه مختلف

7- وهى غير حاضرة بما هى إلا **"الآن جداً"، "الآن فقط"، "الآن الممتد أبدا"،**

8- وهى القادرة على أن تملأ الوقت بما يستحق أن يُملأ به، بغض النظر عن نوع محتواه

9- وهى غير قابلة للتعريف، ولا حتى بأنها ضد ما هو عكسها!!

10- وهى ما تبقى فيك رغما عنك مما سبق ذكره، ما تبقى من كل ذلك، مما هو ليس أيا من ذلك!!

وبالتالى فهى أبعد ما تكون :

- عن سعادة الحيوان
- عن النفس الساكنة (المطمئنة خموداً)
- عن الرضا المغلق
- عن الدوام (الخلود)
- عن الإجابات الحاسمة النهائية، مهما كانت صحيحة.

وبعد

لو أنها هى كما ذكرنا الآن، فهى **"ليست السعادة"** التى يتحدثون عنها

ولو أنها **"السعادة"** فعلاً فلن يجرؤ أحد أن **يدّعى أنه سعيد.**

اقتراح عملىّ (لا تأخذ به من فضلك):

"تصورتُ أنه ....، أننا... يمكننا أن نكتشف، بما نحن فيه "الآن"، دون أى جهدٍ إضافىّ، أن كل ما ذُكِرَ سالفا هو موجود لدى أى واحد منا، حالاً،

وأننا لا نشعر به لأننا لم ننتبه إلى أنه يدخل فعلاً من الباب الذى نسينا أن نغلقه (بند 2)،

وأن كل ما علينا هو أن ننتبه إلى هذا الباب المفتوح أصلاً،

لعلنا نستقبل منه بعض كل ذلك،

برغم كل ما هو ليس كذلك !!

آسف والله العظيم

لم يكن قصدى

ولكنه صدر منى من فرط الغيْظ المُجبّ لكتاب برتراند راسل العظيم

- أى والله.

- يقول ألبير كامى: إنك لن تحقق السعادة أبداً ما دمت تبحث عنها، كما أنك لن تَحْيا أبدا طالما أنت تبحث عن معنى للحياة .

تقول إديث وارتون: ... لو فقط توقفنا عن محاولة أن نكون سعداء، لأتيح لنا وقت طيب (أطيب).

الإربعـــــــاء 14 -11-2007

75- عـــــن ماهيـــــــــة الوجـــــدان وتطـــــــوره!

حين نشرتُ يـومية عن **"الفصام" بتاريخ 30-10-2007** قلت إنى سوف أستغل هذه النشرة لأفى بوعدى للإبنة الكريمة د.أمانى الرشيدى بكتابة كتاب الفصام الذى وعدتها به، أو بتعبير أدق الذى ألحت هى علىّ لكتابته، وقد أرسلت لى تنبهنى ألا أتراجع، وأن اخفف من عرض الحالات (أو هذا ما فهمته) لأن الناس (لعلها تقصد الأطباء) ليس عندهم وقت لقراءة أى شئ طويل، تذكرت أول مرجع مبسط فى الطب النفسى قرأته سنة 1959/1958 لمؤلفيه هندرسون & جلليبسى، وكيف انه كان مليئاً بالحالات الشارحة الرائعة، ولما أعيد طبعه جاء فى مقدمة طبعته التالية (أظن سنة 1962) اعتذار رقيق من المؤلف يقول فيه: اضطررت لوداع أصدقاء (يعنى حالات الطبعة السابقة) مرغماً، وحين قرأت أنا هذه الطبعة الجديدة، لم أحب الكتاب مثل الطبعة الأولى وشعرت أنى مثله أيضا، فقدت نفس الأصدقاء.

ثم إنى حين ألفت بدورى كتاباً مشتركاً مع المرحوم أ.د. عمر شاهين باسم **"مبادئ الأمراض النفسية"** التزمنا بتقديم موجز لبعض الحالات، أسوة بهندرسون، ولكن بدرجة أقل، وهذا أيضا هو ما اتبعناه فى كتابنا بالإنجليزية **ABC of psychiatry** وتعمدنا أن تكون شكوى المرضى بألفاظهم العربية بالعامية، المهم أعدت قراءة بريد د.أمانى مرة أخرى، ورفضت توصيتها بالإقلال من الحالات، وإذا بالنتيجة أنى توقفت عن الاستمرار، لا أنا كتبت الحالات ولا أنا بدأت المتن النظرى عن الفصام، لست متأكداً إن كنت قد توقفت نتيجة لضعف شخصيتى (الذى أعتز به، وينكرونه)، أم أنى توقفت لأن هذا طبعى الذى يسمح لى أن أتوقف بقدر ما أبدأ!!

ولأنى أنوى أن أستغل هذه اليومية لإخراج بعض مخزون حاسوبى إلى الناس، ولو فى شكل إلكترونى اولاً، ثم فى صورة ورقية ما أتيح ذلك فيما بعد، فقد وجدت أن من الممكن أن أبدأ بكتاب آخر لايحتاج إلى حالات، هو كتاب **"عن ماهية الوجدان وتطوره"** وخاصة أن هذا الكتاب قد كتبت أغلب مسودته عام 1974 وهو يحتاج لقدر يسير من التعديل والتحديث.

لست متأكداً من مدى تحمل القارئ الزائر أن يقرأ كتابا كاملا على حلقات، ولكنى متأكد من أنى أريد أن أستغل هذه

النشرة لأضطر لإخراج أعمالى من خزائنها.

سوف أبدأ اليوم وحتى قبل مقدمة الكتاب بطرح الأسئلة التى طرحتها فى أول ندوة من ندوات متصلة عن مفهوم **"الوجدان"** فى ندواتنا العلمية الشهرية لبضعة أشهر **(تلك الندوة التى أشرت لها فى يومية سابقة)** ورجائى أن أحظى بالتجاوب والموافقة من زوار الموقع على المضى قدماً فى تقديم هذا الكتاب فى حلقات، لبضعة أشهرفى مهما بلغت مشقتى، آملاً فى تحملكم.

تساؤلات قبل المقدمة

1- هل العواطف هى ما شاع عنها ؟

2- هل يمكن حبس عاطفة ما فى رمز (اسم) متعارف عليه ؟

3- هل العاطفة نقيض للعقل (بالمعنى الشائع)؟ وما فوائد أو مضار هذا الاستقطاب؟

4- كيف تتفرع العواطف إلى التفاصيل ثم تنضم لتحتوى نبض الوجدان.

5-ما علاقة العواطف بالمعرفة (من أول الإدراك الحسي حتى الإبداع الفائق)؟

6-هل يمكن تعريف العواطف بألفاظ منطوقة (أو مكتوبة) ؟

7-هل يمكن تصنيف العواطف إلى مفردات بدقة مفيدة ؟

8- هل تتصاعد العواطف تطوريا **حتى تحتوى المعنى حين تلتحم بالفكرة والكلمات** (النظرية الخاصة).

9-هل يوجد ما يسمى عواطف سلبية وأخرى إيجابية؟ أم أن هذا يتوقف على عوامل أخرى (مثل تناسُبَها مع بعضها، أو مع غيرها من وظائف، أو مع دفعها، أو مع عائدها؟)

10-ما علاقة العاطفة بالدين / بالإيمان ؟

11- ما علاقة العواطف بالإبداع ؟

12- ما معنى تعبير "اضطراب العواطف" أو حتى "الاضطرابات الوجدانية" ؟ هل يمكن تعريف الإضطراب دون التعرف على السواء؟

13- ما هو مدى الاتفاق على رصد (تشخيص) عاطفة ما بأنها مضطربة؟

14-كيف نقرأ غائية أعراض اضطرابات والعواطف والانفعال والوجدان (المعنى – لا السبب)؟

15-ماذا عن العواطف واللغة (فى تجلياتها وقنواتها وأحوالها)

16-هل العواطف تشترك فى التفكير-بما هى- مثل الجسد والعقل؟

17-هل الوعى بالعواطف ضرورى للاعتراف بها أم يكفى ظهورها سلوكا

(**ملحوظة:** نحن نستقبل عواطف الأطفال والحيوانات قبل أو دون أن تبلغ وعيهم!!)

18-المفهوم الجديد المسمى **"الذكاء العاطفى"**: إضافة أم اختزال؟

19-ما علاقة العواطف: بالجريمة- بالسياسة - بالإعلام؟!!!

20- ما علاقة العواطف: بالجنس ، بالعدوان (وبسائر الغرائز؟)

21- هل الجسد هو أداة تعبير عن العواطف أم أنه يشارك فى تشكيلها؟ وكيف؟

22- هل توجد عواطف بشرية منفصلة عن "العلاقة بالآخر" (فى الداخل: داخل الذات=ذوات الداخل. أو فى الخارج: حتى مع بعض الإسقاط)؟

23- هل توجد عواطف أخلاقية وأخرى لا أخلاقية؟

24- هل يمكن برمجة العواطف كما يجرى فى بعض العلاج السلوكى، والمعرفى، وغسيل المخ، والإعلانات؟

25- وهل التنظير عن العواطف هو لصالحها أم ضدها؟

اختبار مبدئى قبل المقدمة

حتى تشاركنا فى التعرف على مدى حاجتنا لمزيد من النظر فى تسمية العواطف، وإدراك بعض ما يجرى حولها من إسقاط متنوع، سوف نعرض صوراً لتعبيرات مختلفة لنفس السيدة (ممثلة قديرة قامت بعشرات التعبيرات الأخرى التى قد نرجع إليها لاحقا) حتى يتم ذلك نرجو من القارئ/الزائر أن يشاركنا فى الاستجابة لهذه التجربة الموجزة على الوجه التالى:

- المطلوب تحديد الاسم المناسب للتعبير العاطفى فى الصورة من وجهة نظرك.

- يمكنك أن تضيف ما شئت من تسميات مما ليس فى القائمة المجاورة.

إملأ البيانات إن كنت سوف تشترك فى الاستجابة

الاسم: (أو أى رمز أو اسم آخر) .....
النوع: ذكر – أنثى .....
السن: (تقريبا أو تحديدا كما تشاء) .....
العمل: (بما فى ذلك "ربة منزل") .....
الحالة الاجتماعية: (متزوج – أعزب – أرمل – مطلق) .....
السكن: دون تفصيل (يمكن ذكر الحى أو المركز ثم المحافظة فقط)
.....
الدخل: عالى- متوسط – متوسط جدا – بالكاد (بالعافية)
.....

حزن
أسى
اكتئاب
يأس
جزع
رعب
ألم
خزى
انكسار
هَـــمّ
غَـمّ

(بالعامية المصرية:.....)
(بالعامية غير المصرية..... يُذكر البلد .....)
اسم العاطفة
(من بين الاختيارات واحد أو أكثر)
اسم مقترح آخر
ملاحظات.....
.....
حزن
أسى
اكتئاب
يأس
جزع
رعب
ألم
خزى
انكسار
هَـــمّ
غَـمّ
أخرى: تذكر (بالفصحى) .....
(بالعامية المصرية:.....)
(بالعامية غير المصرية..... يُذكر البلد .....)
اسم العاطفة
(من بين الاختيارات واحد أو أكثر)
اسم مقترح آخر
ملاحظات.....
.....
اسم العاطفة
(من بين الاختيارات واحد أو أكثر)
اسم مقترح آخر
ملاحظات.....
.....
12
حزن
أسى
اكتئاب
يأس
جزع
رعب
ألم
خزى
انكسار
هَـــمّ
غَـمّ
أخرى: تذكر (بالفصحى) .....
(بالعامية المصرية:.....)
(بالعامية غير المصرية..... يُذكر البلد .....)

نوفمبـــــــــر 2007 : أسبـــوع 2

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها و مشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجى (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007